وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية الآداب اللغات
قسم اللغة الأدب العربي

تيمة السخرية

في رواية "صوت الحمير" لأيمن العتوم

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:
- سماش أميرة

إشراف الأستاذ:
الدكتور بشير ضيف الله

السنة الجامعية: 2025/2024م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أتوجه بخالص الشكر والعرفان، بعد شكر المولى إلى الأستاذ الفاضل الدكتور بشير ضيف الله على تفضله بالإشراف على هذه المذكرة رغم انشغالاته الكبيرة، فقد كان نعم المشرف والموجه. كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ مسعود ناهلية على نصائحه وتوجيهاته، وحرصه الدائم طيلة مشوار هذه المذكرة.

كما أشكر جميع أساتذة المدية الذين تتلمذت على أيديهم في رحلتي الجامعية، وكل من كان لي عونا في إنجاز هذه المذكرة، وكل من ساعدني بحرف أو نصيحة.

إهداء

إلى معلمي ومشجعي ومحفزي الأول، إلى من أرادني أن أكون متميزة على الدوام، وحثني على مواصلة الدرب.
إلى من علمني معنى الصمود والثقة بالنفس، أبي الغالي رحمه الله عز وجل واسكنه فسيح جناته أهدي لك عملي هذا وأرجو أن يكون صدقة على روحك الطاهرة .

إلى حبيبتي ورفيقتي وغاليتي، التي جاهدت من أجل أن أكون. إلى من كانت بمثابة الدواء والترياق لكل أوجاعي وآلامي، أمي الغالية أطال الله في عمرها ومتعها بالصحة والعافية.

إلى قدوتي ومثلي الأعلى في الحياة. إلى ملهمي ومشجعي على الدوام، إلى من كان أبا حينما غاب الأب وسندا وظهرا اتكأت عليه من بطش الحياة وظلمها، إلى الذي غمرني بعطفه وحنانه وعوضني عن فقداني. أبي

إلى من كان حريصا طيلة مشواري الجامعي، ولم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته القيمة، خالي العزيز مسعود ناهلية أطال الله في عمره ومنحه الشفاء والصحة والعافية.

إلى أبي الثاني إلى من غمرني بحبه وحنانه وتوجيهاته ونصائحه القيمة خالي العزيز علي ناهلية

أطال الله في عمره ومنحه الصحة والعافية.

إلى الإخوة والأخوات وأزواجهم، كل باسمه ومقامه.

إلى عائلتي الثانية، عائلة بوزاير كل باسمه ومقامه

إلى جميع أساتذة كلية الآداب بجامعة المدية دمتم في

خدمة العلم ورمزا للعطاء.

أميرة سماش

مقدمة

مقدمة:

مما لا شك فيه أن السخرية تمثل أحد أهم التيمات المهمة ، وهي تتداخل مع العديد من المصطلحات الأدبية الأخرى كالفكاهة والكوميديا والهزل والضحك. ولا يوجد تعريف نهائي متفق عليه السخرية، وقد اتخذ الأدباء من السخرية وسيلة ومادة للتعبير عن الواقع الذي يعج بالآفات والصراعات الاجتماعية والسياسية، فمنهم من اتخذها وسيلة لردع السلطة والسياسة، ومنهم من اتخذها وسيلة للنيل من خصومه واتخذها بعض آخر وسيلة للترويح عن النفس وبث السرور فيها، وقد برز العديد من الكتاب الذين تبنوا السخرية وأقبلوا على الكتابة فيها، منهم ، وشعراء النقائض، والجاحظ وأبو نواس، المتنبي، وأبو العلاء المعري، وغيرهم. في العصرين الأموي والعباسي،

و قد ظهرت السخرية منذ ولد الانسان قديما وحديثا في مختلف البيئات العربية كعبد القادر المازني، وأحمد رضا حوحو وأحمد مطر والسعيد بوطاجين، والكاتب والروائي الأردني أيمن العتوم في روايته (صوت الحمير 2022) التي هي محل دراستنا، الموسومة ب(تيمة السخرية في رواية صوت الحمير لأيمن العتوم)، وقد عدت هذه الرواية رواية ساخرة بامتياز لما تحمله في طياتها من نقد للسلطة والسياسة والثقافة ووسائل الإعلام والصحافة.

تعود علاقتي بالنثر إلى قراءات سابقة حول الفن القصصي مما حفزني على التغلغل في هذا الفن، وكانت قد وصلتني أخبار ضنينة عن كتابات أيمن العتوم وخاصة روايته (صوت الحمير) التي أثارت ضجة بعد أن حجبتها السلطة بحجة أنها تسئ إلى مؤسسات الدولة السياسية والدينية والثقافية والإعلامية، خاصة وأنه اعتمد السخرية أسلوبا روائيا انتقاديا غير مألوف لمواجهة الاختلالات والسلوكات المشينة.

وقد شدني الفضول إلى دراسة هذه الرواية بعد الضجة التي أحدثتها هذه الرواية إثر صدورها ثم منعها من النشر والتداول في الأردن من قبل وزارة الأوقاف ودائرة الإفتاء الأردنية لما تتضمنه من وخزات سياسية، ودينية ساخرة.

وددت الكشف عن مواطن السخرية فيها والتعرف على ثيماتها وآلياتها التي وظفها العتوم في هذه الرواية.

ولمعالجه هذا الموضوع تجلت عندي مجموعة من التساؤلات، ومن هذا المنطلق، رأيت أناقارب رواية (صوت الحمير) للوقوف على تيمة السخرية، وانا أتحصن بجملة من الأسئلة، كانت عندي بمثابة إشكاليه لهذا البحث هي:

- ما هي تيمات السخرية والأليات والأساليب التي تحصن بها الكاتب وهو يتناول مجتمعه ساخرا من بعض المظاهر والسلوكيات التي طالت مؤسسات هامة في الدولة مثل دور العبادة والصحافة والمؤسسة السياسية والاجتماعية والثقافية؟
- هل استجابت تقنية السخرية لإرادته النقدية؟

وتفرع عن هذا التساؤل المركزي جملة من الأسئلة الفرعية هي:

- ما المقصود بالسخرية، وما هي علاقتها بالإصلاح والتقويم الاجتماعي والسياسي والديني على السواء؟
- هل استطاع أيمن العتوم أن يحقق بالسخرية ما سعى إليه في هذه الرواية؟
- هل أدواته وأساليبه وآلياته كانت كافية لتطويق هذا الموضوع الشائك؟

و يزخر الأدب العربي بالكتابات الساخرة منذ زمن بعيد. مثلما جاء في شعر الجاهليين والإسلاميين والعباسيين وفي النثر في .(البخلاء) للجاحظ، (المقامات) للحريري والهمداني، (النوادر) احمد بن محمد اشعري ، (أخبار الحمقى والمغفلين)لأبو الفرج ابن الجوزي (أخبار الظراف والمتماجنين) لابن الجوزي و(رسالة التربيع والتدوير) للجاحظ..

وأنا اشرع في جمع مادة البحث، صادفتني مجموعة من الدراسات النظرية والتطبيقية، الحديثة والمعاصرة، تسلحت بها في بحثي هذا. منها:

1. السخرية في أدب الدوعاجي، تجلياتها ووظائفها ل/علي البوجديدي.
2. السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري لنعمان محمد أمين طه.
3. الأدب الساخر لنبيل راغب.
4. والسخرية في أدب المازني لحامد عبد الهوال.

5. السخرية والفكاهة في النثر العباسي لنزار عبد الله خليل الضمور.
6. خطاب السخرية ودلالته في الشعر العربي المعاصر لفتيحة بالمبروك(أطروحة دكتوراه)
7. السخرية في النثر الأندلسي(رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي) لخضرة ناصف. (أطروحة دكتوراه).
8. جماليات السخرية في المجموعة القصصية: (الموت وسط الجمهور. ل/عبد القادر صيد) من إعداد بسمة هادف.(مذكرة ماستر).
9. بالإضافة إلى مجموعة من المقالات الواردة في المجلات والدوريات، منها: السخرية من جدل المعنى إلى تعدد الأشكال، المصطلح، التطور، الحضور والفعالية، لخليفة مامور.
10. مظاهر السخرية وتجلياتها في الأدب العربي، مجلة القبس الثقافي، رحاب حسين.

وقد قسمت بحثي إلى مقدمة ومدخل وثلاث فصول:

تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع الذي تناولته بالدراسة وتساءلت عن خطة ايمن العتوم في روايته من خلال تقنية السخرية التي جعلها مهمازا للنقد الاجتماعي كما طرحت فيها جملة من الأسئلة التي دارت حول موضوع البحث.

في المدخل، قمت بضبط مصطلح السخرية لغة واصطلاحا.

أما فيما يتعلق بالفصول، فقد تطرقت في الفصل الأول إلى بدايات السخرية ودواعي استخدامها وتداخلها مع الفنون الأدبية الأخرى.

وفي المبحث الأول، تناولت نشأة ورحلة وتطور السخرية عند العرب والغرب.

أما في المبحث الثاني، فقد تناولت دواعي السخرية ومستلزماتها النفسية.

و تطرقت في المبحث الثالث إلى علاقة السخرية مع الفنون الأدبية الأخرى.

وأما في الفصل الثاني، فقد تناولت أشكال وأساليب السخرية. تضمن المبحث الأول أشكال وأساليب السخرية.

أما الفصل الثالث فقد كان تطبيقيا بحتا، تتبعت في المبحث الأول تيمات السخرية في الرواية. وأما المبحث الثاني، فقد رصدت آليات السخرية التي تساجلت وتحاورت بها الشخصيات المتحركة في الرواية.

وقد اخترت للإجابة على تساؤلات البحث منهج التحليل الوصفي بصفة أساسيه، واستعنت بالمنهج البنيوي حين اقتضت الضرورة لذلك. وفي خضم البحث واجهتني صعوبات جمة أحصرها في النقاط التالية:

1. من أكبر الصعوبات التي وأجهتني هي عدم توفر الرواية ورقيا في المكتبات الجزائرية كونها محظورة من التسويق والتداول، وقد استعنت بالعديد من الأساتذة الباحثين بغية الحصول عليها ورقيا، ولم أتمكن من ذلك، مما اضطررت إلى تحميلها إلكترونيا ثم طبعها ورقيا.

2. قلة المراجع المتعلقة بالسخرية، ورقية كانت أو إلكترونية، في المكتبات التي استطعنا الوصول إليها. مع ملاحظة أن جل المراجع الإلكترونية غير قابلة للتنزيل والقراءة.

3. عدم تناول هذه الرواية من قبل الباحثين والنقاد في الجزائر وخارجها، مما حرمنا من الحصول على دراسات حول رواية صوت الحمير، أو توفر دراسات موازية كان يمكن أن يستفيد منها بحثنا.

وقد كللت بحثي بخاتمه، ضمنتها جملة من النتائج التي توصلت إليها من خلال مقاربتي للرواية التي هي محل الدراسة.

وفي الختام، وانا أتهيأ لقطف ثمار هذا البحث، لا يسعني إلا أن أشكر مرة أخرى الدكتور بشير ضيف الله على قبوله الإشرافَ على هذه المذكرة رغم مسؤولياته الكبيرة.

ولا يفوتني، أن أشكر لجنة المناقشة على تجشمها عناء قراءة هذا البحث على ما فيه من طول وتقصير .

ولا يدعي هذا البحث أنه أجاب عن كل التساؤلات المطروحة أو أنه أجلى كل الغموض الظاهر والمضمر في الرواية. ويكفيه شرفا، أنه فتح أعين القراء على أهميه هذه الرواية الممنوعة من التداول، كما لفت انتباههم إلى تقنية السخرية كوسيلة لنقد المجتمع بأسلوب غير مألوف.

وآمل أن يدفع هذا البحث الطلبة في جامعتنا، وفي غيرها على استكمال الإجابة المضمرة التي تضمنتها هذه الرواية.

بالله استعنت، وبالمغالبة كان التوفيق.

الطالبة سماش أميرة.

المدخل

ضبط المصطلح

أولا: لغة

ثانيا: اصطلاحا

أولا تعريف السخرية.

أ/ لغة:

تعد السخرية من أهم القضايا التي حظيت باهتمام الأدباء والدارسين والباحثين لما لها من معان متعددة سواء المعنى اللغوي أو الاصطلاحي.

فإذا بحثنا عن معنى سخر في اللغة العربية فإننا نجدها متعددة المعاني وذلك بورودها في عدة معاجم وقواميس لغوية (لسان العرب لابن منظور، معجم العين، المعجم الوسيط...) بألفاظ ومعان كثيرة ومختلفة نذكر أهمها:

أ/ الهزء والقهر.

ب/ التذليل والتسخير.

ج/ الضحك والهزل.

فقد وردت في معجم لسان العرب لابن منظور على النحو الآتي:

« سخر: سَخِرَ منه وبه سَخْرًا وَسَخَرًا ومَسْخَرًا وسُخْرًا، بالضم، وسُخْرَةً وسُخْرِيًّا وسُخْرِيًّا وسُخْرِيَّةً: هزء به. يُقَالُ سَخِرْتُ منه، ولا يقال سَخِرتُ به[1]. قال الله تعالى: (لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ)[2].

وقال الراعي:

تَغَيَرَ قَوْمِي ولا أَسْخَرُ وَمَا حُمَّ من قَدَرٍ يُقْدَرُ. [3]

« وقال الأخفش: سَخِرْتُ منه و وسَخِرْتُ به، وَضَحِكْتُ منه وَضَحِكْتُ به، وهَزِئتُ منه وسخرت به وضَحِكْتُ منه وضَحِكْتُ به وهَزِئْتُ منه وهَزِئْتُ به. كل يقال، والاسم السُخْرِيَّةُ والسَخْرِيُّ.

وفي الحديث أَتَسْخَرُ مني وأنا الملك، أي أَتَسْتَهْزِئُ بي، وإطلاق ظاهره على الله لا يجوز، وإنما هو مَجَازٌ بمعنى: أَتَضَعُنِي فيما لا أراه من حقي؟ فكأنها صورة السخرية ». [4]

أما في معجم العين فنجد:

---

[1]- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب (مادة سخر)، مج7، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1863، ط4، 2005، ص 144.

[2]- سورة، الحجرات،الآية 11.

[3] – ابن منظور، المرجع نفسه، ص144.

[4] المرجع نفسه، ص 145.

« سخر: سَخِرَ منه وبه، أي: استهزأ. والسُخْرِيَّةُ: مصدر في المعنيين جميعا، وهو السُخْرِيُّ أيضا ويكون نعتا كقولك هم لك سِخْرِيّ وسُخْرِيَّةٌ.

مذكر ومؤنث [من ذَكَّرَ قال: سِخْرِيّ، ومَن أنت قال: سُخْرِيَّة].

والسُخْرَة: الضُحْكَةُ، وأمَّا السُخْرَةُ فما تَسَخَرْتَ من خادم ودابّة بلا أجر ولا ثمن ».[1]

أما في معجم الوسيط فنجد في جذر سَخَرَ:

« سَخَرَتِ: السفينة – سَخْرًا: أطاعت وجرت وطابت لها الريح – وفلانًا سُخْرِيًّا كَلَفَهُ ما لا يريده وقهره.

(سَخِرَ) منه وبه – سَخْرًا وسُخْرًا وسُخْرِيَّةً، وسُخْرِيَةً، هزئ به، السُخْرَةُ: ما سَخَّرْتَهُ أو رجل بلا أجر ولا ثمن ».[2]

ب/ اصطلاحا:

لقد كانت ولا تزال السخرية من أهم المفاهيم والمصطلحات في الأدب العربي ولا يخفى علينا أنه من الصعب تحديد مصطلح دقيق وشامل ومتفق عليه للسخرية فكل أديب وباحث وناقد عرفها حسب وجهة نظره وتجربته الأدبية وهذا ما أكده الدكتور " علي البوجديدي " حين قال:

« إن البحث في السخرية بحث محفوف بمزالق كثيرة فقد نظر النقاد قديما وحديثا في هذا المبحث ولم يرجعوا في هذا الباب إلى صلح مبين ولا عادوا إلى اتفاق ظاهر».[3]

وقال آخر: « هي طريقة في التهكم المرير أو التندر أو الهجاء الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان، وربما كانت أعظم صور البلاغة عنفا وإخافة وفتكا ».[4]

أما الدكتور " محمد الزموري " فيرى أن « مفهوم السخرية (...) مفهوم تجاذبته وتعالقت بدائرته مصطلحات وأوصاف كثيرة ومن البديهي أن تتفاوت فيما بينها تفاوتا كبيرا ».[5]

---

[1] – عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين (مادة سخر)، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2004، ص 355.

[2] – مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، المعجم الوسيط (مادة سخر)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 1426هـ/ 2005م، ص 421.

[3] – علي البوجديدي، السخرية في أدب علي الدوعابي (تجلياتها ووظائفها)، الأطلسية للنشر، تونس، د.ت، ط1، 2010، ص 16.

[4] – نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1433هـ/ 2012م، ص 16.

[5] – محمد الزموري، شعرية السخرية في القصة القصيرة (الوظائف التداولية للخطاب)، منشورات مجموعة من الباحثين في اللغة والآداب والعلوم الإنسانية، فاس، د.ط، د.ت،ص11.

أما إذا ذهبنا إلى الدكتور " شوقي ضيف " فنجد أنه يعرف السخرية على أنها « أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاج من ذكاء، وخفاء، ومكر، وهي لذلك أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة الذين يهزؤون بالعقائد والخرافات ويستخدمها الساسة للنكاية بخصومهم وهي حينئذ تكون لذعا خاصا، وقد تستخدم في رقة وحينئذ تكون تهكما إذ يلمس صاحبها لمسا دقيقا ».[1]

ويتابع الدكتور " شوقي ضيف " كلامه فيقول: « وعلى ذلك فاللدغ والتهكم والتقريع من ألوان السخرية ».[2]

أما " السعيد علوش " فيقول في هذا الصدد « أن السخرية طريقة في التعبير، تتوجه إلى وسط اجتماعي، وتفكر في كل شيء لتقول أي شئ على طريقتها، فالسخرية كما هو معلوم – مفهوم غني ومعقد الدلالات والأبعاد، فهو مفهوم يتأرجح بين إرث فلسفي تاريخي بقيمه وضوابطه، وبين دراسات بلاغية ولسانية معاصرة، ولذلك عند التمييز بين السخرية وباقي المفاهيم الأخرى التي تتقاسم معها المجال المفاهيمي، فإن الأمر لا يخلو من اضطراب ».[3]

وإذا بحثنا في المعاجم العربية الحديثة (المعجم المفصل في الأدب، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب)، فإننا نجدها عرفت السخرية على النحو الآتي:

أ) نجدها في المعجم المفصل في الأدب أنها نوع من الأسلوب الهازئ البعيد كل البعد عن المعنى الواقعي« نوع من الأسلوب الهازئ الذي لا يستخدم فيه الأسلوب الجدي أو المعنى الواقعي، بعضه أو كله، بأن يتبع المتكلم طريقة في عرض الحديث، يعكس ما يمكن أن يقال وهو أسلوب شائع بين العامة والأدباء على السواء وقد موه بشكل ساخر ».[4]

ب) أما معجم المصطلحات في اللغة والأدب، فقد عاد بالكلمة إلى أصولها اليونانية، حيث أنها كانت تعني آنذاك التظاهر بالجهل وإخفاء الذكاء والتسليم بالآراء المختلفة بغية الوصول إلى البرهنة على بطلانها « ... ولقد بقي المصطلح الأوروبي يحتفظ بذلك المعنى. فسخرية سقراط في محاورات أفلاطون تتميز بالتظاهر بالجهل وإخفاء الذكاء وباستعداد للتسليم بآراء مختلفة، عن رأيه بغية الوصول إلى البرهنة على بطلانها . كذلك تتمثل السخرية السقراطية بأنها منهج

---

[1] – شوقي ضيف، الفكاهة في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط3 ، د.ت، ص 10.

[2] المرجع نفسه، ص 11.

[3] – محمد الزموري، شعرية السخرية في القصة القصيرة (الوظائف التداولية للخطاب)، ص 16.

[4] – محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1419هـ/ 1999م، ص 522.

جدلي يعتمد على الاستفهام مع التظاهر بالجهل بقصد جعل الطرف الآخر في المحاورة يدلي برأي خاطئ يضطر إلى تصحيحه بنفسه ... ».[1]

وقد عرّف أصحاب الموسوعة العربية العالمية، السخرية على أنها « وسيلة تستعمل في الكلام، وفي الكتابة للتعبير عمدا عن أفكاره ... ». [2]

أما المعاجم الغربية، قد عرفتها على أساس ذلك التعارض بين طريقة القول وما تريد سماعه. ومن بين هذه المعاجم نذكر بالتحديد معجم روبار (Robert)، فقد عرّف السخرية على أنها « طريقة في التهكم، من شخص أو شيء وذلك بقول عكس ما يجب أن يقال »[3].

ومن خلال ما سبق، نستنتج أنه رغم تعدد المعاجم العربية والغربية والموسوعات العلمية واجتهاد الكتاب والنقاد والباحثين الذين حاولوا إيجاد مفهومات ثابتة لها، فلحد الساعة لا يوجد تعريف شامل ودقيق ومتفق عليه للسخرية، فهي تتداخل مع العديد من الفنون والمصطلحات الأخرى في معناها العام كالتهكم والهجاء والهزل والفكاهة ... الخ.

[1] – مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، 1984، ص 198.

[2] – علي البوجديدي، السخرية في أدب الدوعابي (تجلياتها ووظائفها)، ص 33– 34.

[3]– علي البوجديدي، المرجع نفسه ص 33.34.

الفصل الأول

بدايات ودواعي السخرية وتداخلها مع الفنون الأخرى

أولا: النشأة والتطور

ثانيا: دواعي السخرية

ثالثا: السخرية والاصطلاحات الأخرى

المبحث الأول: البدايات

أولا: نشأة السخرية وتطورها:

من الصعب تحديد تاريخ دقيق ومضبوط لنشأة السخرية ، فهي موضوع قديم « فقد كشفت الدراسات والأبحاث الأثرية عن وجود رسومات كاريكاتورية خلفها الإنسان القديم على جدران الأهرامات المصرية وكذا أرجاء المعابد القديمة ، نذكر من ذلك "" بردية مصرية قديمة بيد رسام ساخر مجهول عن طائر يصعد إلى شجرة ليس بواسطة جناحيه وإنما بواسطة سلم خشبي. فاستعمال الطائر للسلم الخشبي بدلا من جناحيه في هذه الصورة مخالف لما هو متعارف عليه في الواقع، ما جعله موضعا للسخرية ».[1]

ولا يمكن إنكار حقيقة أن من كان لهم السبق في تطور هذا الفن الأدبي، هم اليونانيون بما يعرف بـ " السخرية السقراطية أو سخرية سقراط.

وقد عدّ سقراط الأب الروحي للأدب الساخر، واعتبره الادباء من أبرز الفلاسفة الذين مارسوا السخرية بطريقة احترافية، « فاصطنع في تعليمه الفلسفي شخصية الساذج الحذق، واختفى وراء قناع التجاهل والتواضع، فكان نموذجا للتهذيب عن طريق استعمال الحيلة والمخالفة في الإيقاع بخصمه ليصبح الجاهل عارفا والعارف جاهلا، وتكون السخرية بهذا مرادفة للحكمة والدهاء ».[2]

وقد زخر الأدب العربي والغربي شعره ونثره بالعديد من الكتابات الساخرة على مر العصور، واحتفى بالعديد من الكتاب المتميزين الذين لمعت أسماؤهم في سماء هذا الفن. ونذكر منهم الجاحظ، وبديع الزمان الهمذاني، وعبد القادر المازني، أما من الغرب ،فنجد جوفينال، وبرنارد شو، وموليير ... الخ، وقد اتخذ البعض من السخرية وسيلة لنقد الخصوم تارة، وتارة أخرى بغرض الترويح عن النفس وتارة بهدف نقد الأنظمة والسلطة والسياسة، فأنتجوا لنا بذلك أدبا راقيا ، وخلفوا لنا إرثا غنيا ومتنوعا توارثته الأجيال من بعدهم.

أ) السخرية عند العرب:

[1] – شمس واقف زاده، الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، فصيلة دراسات الأدب المعاصر، العدد 12، السنة 03، ص 104.

[2] – خليفة مامور، علي كرباع، السخرية من جدل المعنى إلى تعدد الأشكال– المصطلح، التطور، الحضور والفعالية، جامعة الوادي، مج 07، العدد 02، ديسمبر 2020، ص 598.

تعتبر السخرية نوعا من الهجاء الذي كان سائدا عند العرب وبتطور الحياة فقد تلون بلون آخر أطلق عليه النقاد "الفكاهة" حينا و"السخرية" حينا آخر، و« الباحث في جذور السخرية في الأدب العربي يجد أن الهجاء قد اكتسح مكانة واسعة مقارنة بالأغراض الشعرية الأخرى وقد كان في مقدمة الشعر الجاهلي، فقد كانت السخرية أداة من أدواته إلا أنها لم تزدهر كثيرا وذلك بفعل البيئة الصحراوية في ذلك العصر »[1].

أما في العصر الإسلامي ،فقد اتخذ المشركون « السخرية كسلاح ضد الرسول صلى الله عليه وسلم، فكان كفار قريش يسخرون من المؤمنين ويضحكون من عبادتهم وصلا تهم وصيامهم لأنهم ينكرون الجزاء والبعث غير أن في القرآن الكريم وردت معاني السخرية وألفاظا ردا على ما كان يفعله المشركون، وفي الحدود التي رسمها القرآن الكريم منهجا لها، حتى تصلح عيوب المشركين وتدعوهم إلى سواء السبيل ».[2]

أما في العصر الأموي فقد كان جرير هو فارس السخرية ورائدها.[3]، وقد « انتشر هذا اللون بصورة كبيرة من خلال شعر النقائض الذي امتزج بالسخرية (...) ونشأ نشأة عصبية خالصة رغم أن هناك من يرى أنه صدر عن مواقف سياسية، فنهضت النقائض على أساس قوي من السخرية عمادها عن إضحاك الجماهير بأسلوب استهزائي ساخر ».[4]

فإذا ذكرنا شعر النقائض لابد لنا من ذكر جرير والفرزدق والأخطل، وإذا ذكرنا جرير والفرزدق والأخطل لا بد لنا من ذكر شعر النقائض، فقد أضاف هؤلاء إلى شعر النقائض العديدمن المخاصمات الهجائية الساخرة، وخلدوا أسماءهم في أدب السخرية العربية.

وفي العصر العباسي ازدهرت السخرية، وتطورت تطورا ملحوظا- كما يشير نعمان محمد طه- وذلك بفعل الاحتكاكات مع الحضارات الأجنبية الأخرى كالفارسية والهندية والسريالية.[5]

---

[1] – خليفة مامور، السخرية من جدل المعنى إلى تعدد الأشكال- المصطلح، التطور، الحضور والفعالية، ص 598.

[2] – المرجع نفسه، ص 598.

[3] – نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار التوفيقية للطباعة، الأزهر، ط1، 1398هـ/ 1987م، ص 83.

[4] – خليفة مامور، المرجع نفسه ، ص 599.

[5] – نعمان محمد أمين طه، المرجع نفسه، ص 112.

كما ساهم الترف ورغد العيش في تطور السخرية وظهر العديد من الشعراء والكتاب الذين برعوا في السخرية منهم بشار بن برد و أبي نواس، وحماد عجرد وعبد الصمد بن المُعْذَلْ ...

أما الكتاب، فكان منهم الجاحظ وأبو العيناء، وبديع الزمان الهمذاني وأبو العلاء المعري ... ».[1]

أما في العصر المملوكي ، فقد ظهر ما يعرف بالسخرية السياسية من الأمراء والخلفاء فقد اتخذ الشعراء من واقعهم المعيش مرآة عاكسة لبطش وظلم السيادة « فصوروا الجوع والفاقة والحرمان، وأبرزوا واقع التحلل الخلقي والاجتماعي (...) ونَفَسُّوا من الشعر عما يسرى بأنفسهم من مشاعر بأسلوب متهكم ساخر يهدف إلى التخلص من الخصال السلبية في مجتمعهم ».[2]

وفي العهد العثماني برز العديد من الشعراء الذين حاولوا التعبير عن أحوالهم بالسخرية لنسيان واقعهم المرير.[3] وذلك نتيجة بطش واستبداد السلاطين الأتراك لرعيتهم وسيادتهم المتشددة والتي أشار إليها عبد الرحمان الكواكبي في نقده للحكام العثمانيين في كتابه(طبائع الاستبداد)،.

بينما في العصر الحديث ، فقد ازدهر الأدب الساخر ولمعت العديد من الأسماء في الشعر والنثر، « وصارت السخرية فنا مستقلا بذاته وأصبح استخدامها عن وعي وتجربة. ومن أبرز الكتاب والأدباء الذين اتسمت نتاجاتهم بروح السخرية نذكر: المازني (1989م)، وطه حسين (1309)، أحمد شوقي (1287)، وأحمد مطر (1954)،والبردوني (1929).[4] وأصبحت السخرية في هدا العصر طاغية على القصة بأنواعها والرواية والمقال والمسرحية والشعر ... الخ.[5].

ونستنتج مما سبق أن تيمة السخرية بكل تجلياتها، ظهرت عند علي الدوعاجي بتونس، وكل من أحمد رضا حوحو والسعيد بوطاجين بالجزائر، أما في المغرب، نجد كلا من أحمد بوزفور، إدريس الخوري، محمد زفزاف. مع ملاحظة أن السخرية في المغرب امتدت إلى المسرح عند محمد بن إبراهيم في الشعر، وأحمد لمسيح في الزجل.

---

[1] – نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري ، ص 112.

[2] – نيفين محمد شاكر عمرو، السخرية في الشعر في العصر المملوكي الأول (648هـ– 784م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة، جامعة الخليل، فلسطين، كلية الدراسات العليا ،برنامج اللغة العربية ،2008–2009،ص2.

[3] –خليفة مامور، السخرية من جدل المعنى إلى تعدد الأشكال– المصطلح، التطور، الحضور والفعالية، ص 599.

[4] – خليفة مامور، المرجع نفسه ،ص600.

[5] – المرجع نفسه، ص 600.

ب) السخرية عند الغربيين :

احتفى الأدب الغربي كنظيره الأدب العربي، بالعديد من الكتابات الساخرة في مختلف الأجناس الأدبية فقد لمعت أسماء العديد من الكتاب في الأدب الساخر. وإن ملامح السخرية في الآداب الغربية عميقة، فقد وجدت « فقرات في التوراة، وأشعار هوميروس الملحمية، تتميز بروح السخرية الواضحة ».[1]

كما وجدت العديد من المسرحيات القديمة الساخرة أشهرها « مسرحيات أريستو فيناس الكوميدية التي كانت زاخرة ..... الساخرة الثقيلة ».[2]

ولا يمكن إنكار حقيقة أن من كان له الفضل في تطور الكتابات الساخرة الغربية هو الكاتب الروماني " لوسيلياس " المتوفى عام 103 قبل الميلاد، فقد عد رائدا فعليا في هذا المجال « فلم تكن كتاباته مجرد تعليقات ساخرة عابرة على الظواهر الاجتماعية المؤقتة الطارئة، بل حاول أن يصل بمشرط السخرية إلى أغوار النفس البشرية كي يستأصل كل ما يعوق العقل الإنساني عن النظرة الصائبة إلى الأمور ... ».[3]

فهو بذلك يعد الأب الروحي لنشأة السخرية عندهم، فهو من أرسى قواعد هذا الفن تم خلقه بعد ذلك« هوراس المتوفى عام 08 قبل الميلاد، وبيرسيوس المتوفى عام 64 بعد الميلاد، وجافينال المتوفى عام 140 بعد الميلاد من خلال قصائدهم التي كتبت خصيصا للسخرية من الأنماط والأفكار السائدة ».[4]

فهؤلاء بمثابة الآباء الروحيين للأدب الساخر عند الغرب، وهم من خاضوا غمار التجارب الأولى في الكتابة في هذا الفن. وقد جاءت كتاباتهم هاته بمثابة مراجع وتجارب لمن خلفوهم بعد ذلك. و« كان الناقد الروماني كوينتيليان المتوفى عام 95 بعد الميلاد بمثابة أول ناقد استطاع أن يضع يديه على الخصائص الفنية للأدب الساخر، ويمنهجها لتسرى بعد ذلك في نسيج الأدب العالمي وتقاليده ».[5] ، و" مع حلول الكلاسيكية الجديدة، انتشرت القصيدة الروائية التي تمزح

---

[1] – نبيل راغب، الأدب الساخر، مكتبة الأسرة، مصر، 2000، ص 15.

[2] – نبيل راغب ، المصدر نفسه ، ص 15.

[3] –المرجع نفسه، ص ،16.

[4] – المرجع نفسه، ص 16.

[5] – المرجع نفسه، ص 16.

البطولة بالتهكم بهدف نقد النفس البشرية التي قد تجمع داخلها البطولة مع أنواع الرذائل. وبرزت العديد من الأسماء في سماء هذا الفن أمثال كل من" تاسوني " و" بوالو " وديبروا في كل من إيطاليا وفرنسا في النقد الاجتماعي اللاذع. أما في إنجلترا فقد برز النموذج الشعري الذي مزج بين البطولة والتهكم وذلك من خلال أعمال ألكسندر بوب وتحديدا قصيدة " اغتصاب خصلة الشعر".[1]

وقد" اكتسحت الرواية شهرة واسعة، وأقبل عليها العديد من الكتاب، وبرزت العديد من الأعمال منها أعمال " رابليه " و "سيرفانتس "، و" سويفت "، و" فولتير "، و" هامويل باتلر " فقد عدت هذه الروايات من أشهر الكتابات الساحرة في العصور الحديثة والتي جسدت السخرية اللاذعة. كما جسدت كل مظاهر الضعف الإنساني ... ".[2]

ومن خلال كل ما سبق، نستنتج، أن الأدب الساخر في البلدان الغربية قد قطع أشواطا كثيرة ليصل إلى ما وصل اليه الأن.

ولا يمكن إنكار حقيقة أن لولا اجتهادات كتابه في مختلف الأجناس الأدبية، لما وصل إلى هاته المكانة اليوم.

المبحث الثاني: دواعي السخرية.

تعددت الأسباب المؤدية للسخرية، واختلفت من كاتب لآخر، وذلك حسب تجربته وقصديته، فهناك من لجأ إليها لتغطية بعض عيوبه ونقائصه والبعض الآخر اتخذها وسيلة للنيل من خصومه، وهناك من اعتمدها كوسيلة لإصلاح المجتمع. و« قد يسخر الإنسان من نفسه لينجو من حملة المجتمع عليه، وذلك حين ينتبه إلى عيب فيه، أوحين يشعر أن المجتمع منتبه لهذا العيب ».[3] وهذا ما يتدرج تحت ما يسمى بالسخرية النفسية. فقد يلجأ الإنسان للسخرية من نفسه لتغطية عيوب فيه. أو يبادر بالسخرية من نفسه بأسلوب فكاهي مرح لينقص من هجومات المجتمع عليه، وتكون سخريتهم أخف وطأة على نفسه. و« ما يثير السخرية في الحياة

[1] – نبيل راغب، الأدب الساخر، مكتبة الأسرة، ص 18.

[2] – نبيل راغب، الأدب الساخر، ص 18.

[3] – حامد عبد الهوال، السخرية في أدب المازني، د.ط، د.ت، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 34.

أحيانا كثيرة المفارقات بين البشر ونحن نراها كل يوم ونحس بها وهي مع الأسف كثيرة ومتنوعة ».[1]

وقد عدت السخرية في كثير من الأحيان وسيلة للترويج عن النفس وبث السرور في النفوس و« المساهمة في رفع الروح المعنوية والثقة بالنفس، بالاستعلاء على الخوف والقلق والمواقف المحرجة، والشعور بالتفوق، والقدرة على الانتصار، وتشكيك العدو في نفسه ومواقفه، فيما يسمى بالحرب النفسية »[2] وهي ملجأ يهرب إليه العديد من الكتاب لِيَصُبُوا وابل غضبهم وسخطهم على السلطة والسياسة بأساليب غير مباشرة خوفا، وفرارا من العقاب، حيث « يشعرون بأنهم ليسوا ضعفاء وأنهم يملكون قوة وحيوية وثباتا، وكيانا شخصيا لا يمكن أن تطمسه القوة الأكبر ».[3]و« تعتبر السخرية وسيلة ذكية لتنبيه الظالمين والمتعجرفين لكن بطريقة غير مباشرة، تمكنهم من التخلص، كما يتخذ منها الشعراء سلاحا للمواجهة وطريقة لاسترداد حقوقهم المستلبة ».[4]

وقد تكون السخرية في غالب الأحيان بهدف إصلاح المجتمع وتوجيه أفراده إلى الأخلاق الفاضلة والاستقامة الاجتماعية، وذلك من خلال نقد المجتمع، وذلك بالإشارة إلى عيوبه واختلالاته، وهذا ما أكده لنا الدكتور حامد عبد الهوال الذي يرى «أن السخرية محاولة لطيفة مهذبة الغرض منها تطهير الحياة والمجتمع من الظواهر السلبية التي تجانب التطور وتناهض الحركة نحو المستقبل ».[5]

ومن خلال ما سبق، نستنتج أن للسخرية غايات متعددة تختلف من كاتب لأخر وذلك حسب تجربته ومقصديته وقناعاته.

وأنها غير محصورة في النقد فقط، بل تتعداه في أحيان كثيرة إلى طرح الحلول.

ويمكن تلخيص ذلك في نقاط هي:

أ/ تكون بغرض التخفيف من وطأة ووحشة المجتمع.

---

[1] –المرجع نفسه، ص 25.

[2] – نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1433هـ/ 2012م، ص 25.

[3] – نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص 25.

[4] – بسمة هادف، جماليات السخرية في المجموعة القصصية الموت وسك الجمهور "لعبد القادر صيد"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019، ص 12.

[5] – حامد عبد الهوال، السخرية في أدب المازني، ص 30.

ب/ بهدف الترويح عن النفس.

ج/ بهدف إصلاح المجتمع.

المبحث الثالث: تداخل السخرية مع الفنون الأخرى.

تتداخل السخرية مع العديد من المصطلحات كالفكاهة والكوميديا والهجاء والتهكم، وقد يصعب أحيانا التفريق بين السخرية وباقي الفنون الأخرى المذكورة سابقا، وذلك جراء التداخل والارتباط الوثيق بين هذه المصطلحات.

أ) السخرية والكوميديا:

إن أول ارتباط لمعنى السخرية كان مع الكوميديا، لأن هذه الأخيرة بطبيعتها احتفالية وإبداعية ومبهجة تثير الضحك في النفس في طابع منمق ممتع ممزوج بالسخرية، والغاية منها بث السرور وإثارة ضحك الجمهور.[1]

وقد كان للإغريق السبق في استعمال هذا المصطلح،وتداوله. ومن المتعارف عليه أن الكوميديا تسلط الأضواء على الجانب السلبي في الإنسان، وتستخف من رعونته وتصرفاته بسخرية مغلفة بالضحك.[2]

وقد حظي "المهرج" قديما (لدى الإغريق) بمكانة مهمة في البلاط الملكي، وذلك نتيجة ذكائه الخارق وفطنته اللامتناهية، فقد كانت له القدرة على تغيير قرارات الحكام والملوك والسلاطين. فقد كان يقوم بتمرير رسائل سافرة مشفرة حتى عن الملوك أنفسهم وذلك في شكل عروض كوميدية ترفيهية مليئة بالضحك والهزل. وقد كان الهدف الرئيسي للكوميديا هو التقويم الاجتماعي.[3]

ب) السخرية والفكاهة:

وجاء في لسان العرب لابن منظور أن معنى كلمة " فَكِهَ " على النحو التالي:[4]

---

[1] – فتيحة بلمبروك، خطاب السخرية ودلالته في الشعر العربي المعاصر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2014، 2015، ص 34.

[2] – المرجع نفسه، ص 34.

[3] – فتيحة بلمبروك، المصدر نفسه، ص 34.

[4] – المرجع نفسه، ص 37.

الفكه: هو الذي ينال من أعراض الناس، فكههم يملح الكلام: أطرفهم والاسم الفكيه، والفكاهة والمفاكهة هي الممازحة ...[1]

أما في القاموس المحيط، فمدلول لفظة "الفكه " هو[2] طيب النفس، ضحوك، أو يحدث صُحبه فيضحكهم.[3]

لذلك، فالسخرية كالفكاهة، تعتبر أرقى أنواع الفكاهة، لأنها تحتاج إلى قدر كبير من الذكاء والخفاء والمكر، ولذلك اتخذ منها الفلاسفة والأدباء أداة يستخدمونها ... [4]

ويتضح لنا مما سبق، أن السخرية والفكاهة متداخلان فيما بينهما، فهما يشتركان في كونهما الاثنان يثيران ضحك الجمهور ويشترطان أن يكون مستخدمهما على قدر كبير من الذكاء والخفاء والمكر والقدرة على الإضحاك.

د) السخرية والتهكم:

يعتبر التهكم من أكثر الأساليب أو الأغراض التي وظفها الأدباء والكتاب منذ القدم وذلك نظرا لأهميته البالغة، كما يعد من أكثر المصطلحات تداخلا بمفهوم السخرية وهذا يتضح لنا من خلال ما أقرت به خضرة ناصف، فهي ترى بأن « التهكم من أكثر المصطلحات تداخلا واختلاطا بمفهوم السخرية، وقد عرفه النقاد العرب القدماء وتحدثوا عنه، وقد قيل في تحديد مفهومه هو الإتيان بلفظ الإشارة في موضع الإنذار والوعد مكان الوعيد والاستهزاء في معرض المدح ».[5]

يقول الدكتور يوزيرة علي في هذا الصدد: « ... لا يمكن أن تكون هناك حياة بشرية أصيلة بغير التهكم، والتهكم شكل من أشكال السخرية باعتباره درجة أخف من السخرية المطلقة ».[6]

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب (مادة فكه)، مجج8، تح/ عبد الله الكبير وآخرون، دار المعارف مصر، د.ط، د.ت، ص 3453.

[2] – فتيحة بلمبروك، خطاب السخرية ودلالته في الشعر العربي المعاصر، ص 37.

[3] – الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص 1250.

[4] – فتيحة بلمبروك، المرجع نفسه، ص 39.

[5] – خضرة ناصف، السخرية في النثر الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، 2017– 2018، ص 31.

[6] – بوزيرة علي، السخرية والتهكم الفلسفي في شعر المعري، جامعة ابن خلدون، تيارت، ص 50.

ويضيف « إن التهكم في المعجم الفلسفي هو الاستهزاء، أو السخرية وهو ما كان ظاهره جدا وباطنه هزلا ... ».[1]

ويعد التهكم أشد مرارة وقسوة ووقعا على ذات المتهكم به فالمتهكِّم يسعى لتصوير المتهكَّم به في أبشع الصور وأقبحها، فهو يعمل على تدمير ذات المُتَهَكَّم به وهدم كيانها ... [2]

ونستخلص مما سبق، بأن السخرية والتهكم متداخلان فيما بينهما، وأن التهكم شكل من أشكال السخرية إلا أنهما يفترقان في كون التهكم أخف من السخرية المطلقة.

هـ) السخرية والمفارقة:

تعد المفارقة أسلوبا من الأساليب المهمة التي حظيت باهتمام ،ومن المتفق عليه أن من الصعب تحديد مقصوم دقيق ومتفق عليه لها. وتقول الدكتورة خيرة جريو في هذا الصدد: «المفارقة هي أسلوب بلاغي يعتمده المبدع لعرض أفكاره والتعبير عن تجاربه ورؤاه، إذ هي ممارسة أدبية ذات إرهاصات فلسفية، دخلت الساحة النقدية العربية في القرن العشرين، بعدما لقيت رواجا كبيرا في النقد الغربي، حيث وردت بتعريفات مختلفة ومتنوعة يستعصي الإلمام بتعريف واحد لها، كما تعددت وظائفها من عصر لآخر حسب حاجة المبدع إليها ».[3]

كما ترى خضرة ناصف بأن للسخرية والمفارقة نقاط اشتراك واختلاف فيما بينهما حيث تقول: «تختلف السخرية عن المفارقة، رغم التقائهما في بعض الأمور كالضحية المشترك بين الكاتب والقارئ، في كلا النوعين، وذلك لأن الخطاب الساخر له ملامحه الدالة عليه، فنبرة الخطاب الساخر تتمظهر من بدايته إلى نهايته، مما يجعل القارئ يتفطن أحيانا إلى الكثير من أهداف الكاتب ومقاصد النص. أما الخطاب المفارقي فهو أكثر خفاء، كما أن المفارقة يمكن أن تكون بالضرورة ساخرة أو تحمل دلالات ساخرة ... ».[4]

ونخلص مما سبق، أن السخرية والمفارقة تشتركان وتلتقيان في نقاط عديدة منها الضحية المشترك بين الكاتب والقارئ، إلا أنهما يفترقان في عدة نقاط لا يمكن عدها أو حصرها وهنا تكمن جماليتهما.

---

[1] – بوزيرة علي، المرجع نفسه، ص 50.

[2] – خضرة ناصف، المرجع نفسه، ص 33.

[3] – خيرة جريو، جماليات المفارقة الساخرة في النص الشعري العربي المعاصر، المركز الجامعي بلحاج بو شعيب، عين تموشنت، مج4، العدد 11، جوان 20177، ص 85.

[4] – خضرة ناصف، السخرية في النثر الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، ص 35.

الفصل الثاني

أشكال وأساليب السخرية

أولا: أشكال السخرية

ثانيا: أساليب السخرية

المبحث الأول: أشكال السخرية.

تعتبر السخرية أسلوبا من أهم الأساليب الأدبية التي استخدمها الأدباء من شعراء وكتاب للنقد والنيل من خصومهم ومجتمعاتهم بطرق عديدة ،وهي تختلف من كاتب لآخر وذلك حسب مقصديته وغايته وإننا نلمس العديد من الأشكال والأساليب التي وظفها الأدباء للسخرية، نذكر أهمها:

1/ السخرية السياسية:

إذا بحثنا في جذور السخرية السياسية فإننا نجدها موجودة عبر مختلف الثقافات والأجناس.

وقد زخر الأدب العربي والغربي بالسخرية السياسية، ولمعت أسماء العديد من الأدباء في مختلف الأجناس الأدبية (الشعر، النثر، الرواية، المسرح ...)، وفي كلا الأدبين. ومن أشهر الأدباء والشعراء العرب نذكر: " الجاحظ "، " الفرزدق "، " بشار بن برد "، " حافظ إبراهيم "، " عبد القادر المازني " ...

أما الأدباء والشعراء الغربيون نجد " أريستو فيناس "، " لوسيلياس "، " بيريسيوس "، " جافينال "، " موليير "،" برنارد شو " ...

وقد اتخذ هؤلاء من الرموز والكنايات أدوات لهم، لنقد السلطة والسياسة وذلك خوفا وفرار من العقاب والإدانة.« وتعد الأوضاع السياسية البائسة العامل المهم والدافع الأول لتوجه الشعراء نحو نقد هذا الوضع البائس وما يلحقه من أسى في حياة المحكومين، وغالبا ما تكون السخرية العديد مغطاة خلف رموز وكنايات ». وقد برز العديد من الأدباء الذين عبروا عن سخطهم ورفضهم للأنظمة السياسية المستبدة في مجتمعاتهم. « فأرادوا التحرر ولو مؤقتا من محاصرة القوة الطاغية والسلطة الأكبر، أو من سيطرة القوانين.الجائرة والتفكير الجامد ».[1]

فاتخذوا من خطاباتهم سلاحا لمواجهة وردع السلطة الغاشمة ولكن بأسماء مستعارة ورسائل بلاغية مشفرة خوفا وفرارا من عقاب السلطة.

فمن خلال هاته الكتابات « يشعرون بأنهم ليسوا ضعفاء وأنهم يملكون قوة وحيوية وثباتا، وكيانا شخصيا لا يمكن أن تلمسه القوة الأكبر ».[2] و« ويلجأ الأفراد إلى مجال السخرية

[1] – نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص 25.

[2] – نزار عبد الله خليل المرجع نفسه، ص 23

السياسية ليكونوا هم الفاعلين الرئيسيين فيه، يخلقون لأنفسهم أدوات شديدة البلاغة في الإشارة إلى مواطن قصور الممارسات السياسية للسلطة معتمدين في نقدهم على الهزل والرمزية »[1].

ونستنتج من خلال ما سبق، أن الأوضاع السياسية البائسة، وجور وظلم السلطة. من أهم وأكبر الدوافع التي جعلت أغلب الأدباء ، يتخذون من السخرية أداة ووسيلة لنقد وردع هذه الأوضاع المتردية.

2/ السخرية الاجتماعية:

لطالما اتخذ الكتاب والشعراء من السخرية وسيلة وسلاحا، لنقد البيئة المحيطة بهم والواقع المعيش.

وحاولوا جاهدين السخرية من مجتمعاتهم في قالب سخري ممزوج بالوعظ والفكاهة، والإدانة في آن واحد وذلك بهدف إصلاح مجتمعاتهم، والتخفيف من آلامهم ومعاناة أفراد مجتمعاتهم والترويح عن نفوسهم.

ويشترط الدكتور عبد الله خليل الضمور بأن يكون الساخر ناقدا حقيقيا يجب أن تتوفر لديه « حساسية لنقائص المجتمع فيسخر بهدف الإصلاح، لتكون العملية هنا في قمة العمل الايجابي للبناء، ومحاولة لطيفة مهذبة الغرض منها تطهير المجتمع من الظواهر السلبية التي تجانب التطور وتناهض الحركة نحو المستقبل ».[2]

ويتابع كلامه مضيفا في هذا الصدد« ويمكن أن نعد سخرية الإنسان من نفسه عملا اجتماعيا ونفسيا، يحاول من خلاله أن يحقق التوازن بينه وبين مجتمعه، وبينه وبين نفسه ».[3]

فالأديب الحقيقي هو الذي يتأثر بمشاكل وهموم مجتمعه، ويسخر قلبه وقلمه لخدمة المجتمع محاولا إيجاد حلول لمشاكله.

3/ السخرية الثقافية:

لم تقتصر السخرية على الجانب الاجتماعي والسياسي والديني ... فقط، بل تعدت ذلك لتشمل أيضا السخرية الثقافية.

---

[1] – **محمود محمد علي، أدب السخرية السياسية بين باسم يوسف وجوشو، جامعة السيوط، ص 05.**

[2] – **نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، ص 23.**

[3] – **نزار عبد الله خليل الضمور، المرجع نفسه، ص 24.**

فنجد العديد من الأدباء انتقدوا الأوضاع الثقافية للمجتمع، فرغم التطور العلمي والتكنولوجي الذي يشهده العالم اليوم إلا ما أن بعض الشعوب العربية مازالت تؤمن ببعض الخرافات وتمجدها.

« وتركز السخرية الثقافية بشكل أساسي على نقد العادات، التقاليد، والقيم الاجتماعية ، وقد تتناول موضوعات مثل السياسة، الدين والتغيرات الاجتماعية ،ويمكن أن تكون مباشرة أو غير مباشرة (...) وهدفها هو تشجيع النقد الاجتماعي وإثارة الوعي حول القضايا الثقافية ... ».[1] إلا أن استخدامها من طرف الأدباء قليل مقارنة بالسخرية السياسية والاجتماعية.

4/ السخرية من الذات:

وقد ظهرت هذه السخرية نتيجة شعور الإنسان بنقص تجاه نفسه، أو نتيجة تعرضه لمواقف استحقار لذاته من طرف أقرانه فأدت به إلى السخرية من نفسه والتقليل من شأنها.

وذلك بغرض صد هجومات المجتمع عليه وحماية ذاته، فهي أشبه بأن تكون سلاحا انتهجه الإنسان لحماية نفسه من الآخرين.

وهذا ما أكده الدكتور حامد عبد الهوال حين قال: « وقد يسخر الإنسان من نفسه لينجو من حملة المجتمع عليه وذلك حين ينتبه إلى عيب فيه، أو حين يشعر أن المجتمع منتبه إلى لهذا العيب».[2]

ويتابع كلامه مضيفا في هذا الصدد « فيسخر من نفسه ليسخر ضمنا من أشياء أخرى في الحياة من حوله ».[3]

وهذا النوع من السخرية قلما نجده لأن الإنسان مجبول على التفاخر بنفسه والاعتزاز بذات مهما كان فيه من عيوب.

5/ السخرية الدينية:

تعد الكتابة في موضوع السخرية الدينية كسرا لطابو مقدس ومساسا للدين وقداسته.

وقد نهى القرآن الكريم عن السخرية التي يكون فيها الاستخفاف بالدين ورموزه وشخصياته الدينية. واعتبر ذلك أمرا محرما ومكروها وأنه من صفات الكفار والجاهلين والخارجين عن الدين.

---

[1] – غالب المسعودي، السخرية الفلسفية في الثقافة، 15 ديسمبر 2024، https://kitabat.com، بتاريخ 20/ 02/ 2025.

[2] – حامد عبد الهوال، السخرية في أدب المازني، د.ط، د.ت، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، 34.

[3] – حامد عبد الهوال ، المرجع نفسه، ص 68.

وقد وردت العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي حرمت ذلك ومنها سورة الحجرات (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ)[1].

« وقد وردت السخرية في القرآن الكريم بألفاظ: الهزء والاستخفاف والضحك والسخرية: الأولى في أكثر من خمسة عشر موضعا والاستخفاف في الآية (54) من سورة الزخرف، والضحك بمعنى السخرية في أربعة مواضع، و بلفظة (السخرية) أربعة عشر موضعا، وكلها تدور حول استهزاء الكفار بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بالأنبياء السابقين وإنذارهم بأوخم العواقب وأسوأ العقاب بسبب ذلك : (قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ)[2].

6/ السخرية الانتقادية:

تهدف هذه السخرية إلى نقد الظواهر الاجتماعية والسياسية والثقافية ، وغايتها أبعد من الضحك ،فهي تسعى إلى فضح الممارسات الاجتماعية والسياسية والثقافية الغير سوية وتهدف إلى إظهار الحقيقة وكشف الخلل. كما تدعو إلى التقدم والتغيير والنهوض بالفكر.

وترى الدكتورة شمس واقف زاده أن السخرية الانتقادية « عملية تأديب مَؤْلِمَة مغرية لأنها ما وجدت واتسمت بسمة النقد إلا لتخزى وتؤلم في آن واحد ... ».[3]

7/ السخرية العقلية:

وقد نشأت هذه السخرية في بيئة فكرية بحتة ،اتخذت بالدرجة الأولى من العقل والفلسفة منهجا لها، ولقد كان المعتزلة يحسون بأنهم من طبقات أخرى غير طبقات الناس المادية، وقد كان هذا الإحساس يدفعهم في كثير من الأحوال إلى السخرية من الناس، والتهكم بهم ».[4]

ولكن هذه السخرية لم تكن بهدف تحقيق ضغينة شخصية، يل كان مصدرها الفكر والفلسفة وهدفها توجيه الناس وإرشادهم إلى عيوبهم.

8/ السخرية الفكاهية:

---

[1] – سورة الحجرات، الآية 11.

[2] – سورة التوبة، الآية 65.

[3] – شمس واقف زاده، الأدب الساخر، أنواعه تطوره مدى العصور الماضية، فصيلة دراسات الأدب المعاصر، ع 12، س 03، ص 106.

[4] – شمس واقف زاده ، المرجع نفسه، ص 107.

لا يخفى علينا أن هذا النوع من السخرية، ولد من رحم المعاناة والآلام وتكبد المشقات، فكان هذا النوع من السخرية ترويحا عن النفس. وتنفيسا عن آلامها في قالب سخري ممزوج بالهزل والضحك « وهي بهذا أقرب إلى المزاح الذي ينفي عن النفس ما طرأ عليها من سأم، ويزيل ما علق بالقلب من هم وقد أكد قيمة هذا الضرب من السخرية في حياة الناس وضرورة تذوق النفس الفرح، الهزل والتندر».[1]

المبحث الثاني: أساليب السخرية:

تعددت أساليب السخرية واختلفت من كاتب لآخر وتعرف بعض الدراسات أسلوب السخرية « على أنه مخالفة المتكلم لتوقعات المتلقي مع اعتماده مرجعية مشتركة بينهما ».[2]

ويرى الدكتور إبراهيم عبد الفتاح رمضان أن« السخرية حيلة من الحيل الأسلوبية لا يواتيك المعنى المراد فيها مباشرا ، وإنما يأتي مغلفا بنوع من المراوغة لا ينتبه له إلا متلق واع [3]»

وتعد لغة الجسد من الملامح الراصدة للسخرية، فـ « أول صورة للسخرية وأقدمها في تاريخ البشرية وأكثرها انتشارا كانت عن طريق المحاكاة في الكلام والمشي والحركات الجسمية بأنواعها المختلفة».[4]

وأساليب السخرية عديدة ومختلفة من كاتب لآخر يوظفها حسب احتياجاته الأدبية لها. ومن أهم وأبرز هذه الأساليب:

1/ السخرية بالمحاكاة:

وهي تعني تقليد الساخر للمسخور منه في حركاته وأسلوبه ومشيته « وهي أول صور السخرية وأقدمها في تاريخ البشر وأكثرها انتشارا بين العامة »[5] بحيث يتم تقليد المسخور منه « بالمحاكاة في الكلام والمشي والحركات الجسمية وأنواع السلوك المختلفة ... ».[6]

---

[1] – شمس واقف زاده، الأدب الساخر، أنواعه تطوره ، ص 107.

[2] – مشاري عبد العزيز موسى، أسلوب السخرية نظرياته وإشكالياته، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، مج 13، العدد 02، جوان 2020، ص 213.

[3] – إبراهيم عبد الفتاح رمضان، السخرية نمط من الحيل الأسلوبية، مجلة فصل الخطاب، كلية الآداب، جامعة المنوفية، مج 04، العدد 17، مارس 2017، ص 122.

[4] – رحاب حسين، مظاهر السخرية وتجلياتها في الأدب العربي، ص 06.

[5] – مشاري عبد العزيز موسى، المرجع نفسه، ص 216.

[6] – نعمان محمد أمين، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص 27.

2/ السخرية عن طريق الصوت:

ظل اللسان عند الناس في كل الأزمنة هو مفتاح الشخصية، ولذلك يعول اهل الاستقصاء والتحقيق على ما يبوح به المرء، حيث تعتبر الأصوات المنكرة والدافعة للسخرية والاستهزاء « من أقدم طرق السخرية وأكثرها شيوعا، وتكون عن طريق تلوين الصوت برفعه وخفضه وإعطائه نبرات خاصة معروفة يفهمها السامع غالبا ويعرف صفاتها التي لا يمكن أن ينقلها القلم إلى الطرس»[1].

3/ سخرية الذم بما يشبه المدح:

وهي سخرية بلاغية، باطنية، تعتمد على أسلوب الذم بما يشبه المدح، وهي ذات علاقة بطبيعة أسلوب المتكلم، و هو يسخر من الآخر، مستعملا هذا الأسلوب بغية تقزيم ذات المتهكَّم به. ومنه قول الشاعر:

خَلَا مِن الفَضْلِ غير أني أراه في الحمق لا يجارى.[2]

وفي هذا الصدد: « تعرف السخرية على أنها طريقة من طرق التعبير يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة ».[3].

وبمعنى آخر هو نقد لاذع بأسلوب مضحك يُنقص من المُسْخَرِ منه بغرض التعريض بنواقص سلوك الأفراد والجماعات.

4/ السخرية باللمز والتقبيح:

وهي من أذم صور السخرية وأكثرها وقعا على النفس « وهي من أقدم الصور السهلة الساذجة في السخرية وتستعمل فيها أسماء الحيوانات كألقاب »[4]، وصفات. فتصير هاته الألقاب ملتصقة بالشخصية المَسْخُورِ منها ،ويراد منها السخرية والتقليل من الشأن وتقزيم الذات.

5/ السخرية بأسلوب المبالغة:

وهي من أكثر الأساليب المستخدمة في السخرية والتهكم وهي تعتمد على الإفراط في الوصف «وأن يدعي المتكلم لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستبعدا أو مستحيلا »[5].

1

[2] – رحاب حسين، مظاهر السخرية وتجلياتها في الأدب العربي، ص 06.

[3] – المرجع نفسه، ص 06.

[4] – نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص 27.

[5] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة المصرية، بيروت، د.ط، د.ت، ص 312.

6/ السخرية بأسلوب المدح بما يشبه الذم (اللعب بالمعاني):

السخرية من خلال اللعب بالمعاني، تعني استخدام الكلمات أو العبارات بطريقة تعبر عن معنى مختلف أو حتى معاكس للمعنى الحرفي الظاهر. واللعب بالمعاني، « هو نوع من الفكاهة والسخرية، أساسه التلاعب بالمعاني عن قصد ويتخذ صورة التلاعب فالمعنى من غير قصد، وهو أنواع عدة، منها الكناية والتورية والتعريض، والإجابة بغير المطلوب »[1].

7/ السخرية بأسلوب التورية:

وهي من أهم الأساليب الأدبية وأكثرها استخداما في السخرية « وهي أن يعبَّر بالكلمة عن فكرتين منفصلتين: إحداهما قريبة من الذهن، ولكنها ليست المرادة أو المقصودة، والأخرى بعيدة عن الذهن وهي المقصودة [2]». وترى سها عبد الستار السطوحي، أن« التورية من أهم بواعث الضحك وأكثر أنواع الفكاهة شيوعا في الأدب الانجليزي وأساسه كما في الأدب العربي، الاتحاد في الحروف والاختلاف في المعنى، وقد يكون الاتحاد كاملا، وقد يكون في أكثر من حرف »[3].

8/ السخرية بأسلوب التعريض:

« وهو الكلام الذي لا يقصد به المتكلم معناه، وإنما يقصد معنى آخر، ولا يوجد بين المعنيين تلازم، وهذا ما يخالف فيه التعريض الكناية، إذ بين المعنيين في الكتابة ارتباط، في حين أن جملة التعريض ليس لها إلا معنى واحد يفهم السامع المقصود من ورائه، وتختلف في هذا عن التورية التي يوجد فيها معنيان: معنى قريب يخدع، ويبعد المتلقي عن المعنى البعيد وهو المقصود ».[4]

9/ السخرية بأسلوب الكتابة:

إذا بحثنا عن المعنى اللغوي للكتابة فإننا نجدها معرفة على النحو الآتي:« الكناية لغة ما يتكلم به الإنسان وما يريد به غيره، وهي مصدر كَنَيْتُ، أو كَنَوْتُ بكذا عن كذا، إذا تركت التصريح به ».

---

[1] – سها عبد الستار السطوحي، السخرية في الأدب العربي الحديث " عبد العزيز البشرى " نموذجا، ص58.

[2]– سها عبد الستار، المرجع نفسه، ص 59

[3] –المرجع نفسه، ص 59.

[4] – سها عبد الستار ، المرجع نفسه، ص 61.

أما إذا بحثنا عن معناها اصطلاحا فنجدها تعني « التعبير بجملة أو جمل يراد بها معنى آخر مرتبط بالمعنى الأصلي ... ».[1]

[1] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 286.

الفصل الثالث

تيمات وآليات السخرية في رواية "صوت الحمير"

أولا: تيمات السخرية في الرواية

ثانيا آليات السخرية في الرواية

المبحث الأول: تيمات السخرية في الرواية:

بداية يجدر بنا التعريف بالرواية، وهي عبارة عن رواية فلسفية فكاهية ساخرة تجرى على لسان الحمار " أبو صابر" وتجسد لنا رحلة الحمار " أبو صابر" رفقة مالكه " الشيخ علي " إمام مسجد سوف بالأردن، وكيف أن الحمار يكشف لنا طبائع البشر وشروطهم وتناقضاتهم من خلال هذه الرحلة فيسخر من تصرفاتهم وطبائعهم ويكشف لنا تناقضاتهم ونفاقهم فيسخر بذلك من واقعهم المعيش ومن الظلم والقمع، ومن غياب روح المسؤولية لديهم ومن النفاق ....الخ ولكن بطريقة غير مباشرة وبرسائل مبطنة ومشفرة يصعب فهمها أحيانا وبأسلوب مرح فكاهي فيجذبنا ذلك إلى قراءة هاته الرواية والتعرف على حيثياتها وسنتطرق من خلال تحليلنا لهذه الرواية إلى الكشف عن مواطن السخرية وتيماتها في الرواية، كما سنعمل على استخراجها وإدراك الغاية منها.

وقد تعددت تيمات السخرية في هذه الرواية، فنجد منها: الاجتماعية، السياسية، الدينية، الثقافية، الإعلامية ... الخ وهذا ما سنعمل على إيضاحه واستخراجه في ما يلي :

1/ السخرية الاجتماعية:

يجدر بنا الاشارة إلى ان هناك العديد من الأدباء الذين يسخرون اقلامهم لخدمة مجتمعاتهم وإيجاد حلول لمشاكله بشتى الطرق والوسائل، وهم من يعرفون بالادباء الملتزمين و إن السخرية تمثل أحد اهم الوسائل والطرق التي اتخذها الأدباء أداة وسلاحا وعلاجا لمحاولة إصلاح مجتمعاتهم وواقعهم المتأزم، ووظيفة السخرية تكمن في إصلاح المجتمع فراح أغلبهم يتخذ من هذا الفن أداة لكشف واقعهم المتردي فجاءت هاته السخرية كمرآة عاكسة لمعاناتهم وآلامهم « ولهذا فكلما قويت صلة الإنسان بالواقع كان أقدر على الإحساس به وأحرص عليه، وأشد اهتماما بأن يكون منسجما ومقبولا ».[1]

وإن أول كاتب وظف شخصية الحمار في عمل روائي هو الكاتب الأمازيغي " آفولاي" أو كما يعرف بـ " لوكيوس أبوليوس " في روايته(الحمار الذهبي) نجد أيضا توفيق الحكيم (حماري

[1] – حامد عبد الهوال ، السخرية في أدب المازني، ص 24.

قال لي)، أحمد رضا حوحو (مع حمار الحكيم)، محمد زتيلي (عودة الحمار الحكيم)، أحمد رجب (مذكرات حمار)، وعبد اللطيف بدوي(حماري) ونجد أيضا كل من محمود العقاد (أحسن حمار)، ومحمد بن سعد (الحمار المفترى عليه) ... الخ.

ونرى في الآونة الأخيرة إقبال العديد من الأدباء على الكتابة في مجال السخرية، وذلك بسبب ظهور بعض المشكلات والآفات في المجتمع التي كان لابد من محاولة وضع حد لها. وهنا تكمن وظيفة الأدب الساخر، وتعد رواية (صوت الحمير) لأيمن العتوم نقدا للواقع الاجتماعي المعيش. وقد نجح في تصويره وجاءت هذه الرواية كمرآة عاكسة للوضع الاجتماعي المتأزم والمتردي، وقد نقل لنا كل هاته المعاناة والآلام بطريقة جد ذكية، فقد استعان بشخصية البطل الحمار" أبو صابر" وجعله يسخر من تصرفات وطبائع البشر، محاولا بذلك تسليط الضوء على أهم القضايا الاجتماعية، منها خيانة الأزواج وغياب روح المسؤولية لديهم، الظلم، غياب العدالة، الجهل، التهميش، النفاق الاجتماعي، الفساد الأخلاقي والاجتماعي.

ومن المؤكد أن الزواج بات أحد أهم الروابط المقدسة، فهو ميثاق غليظ وهو أساس بناء الأسرة، وهو بمثابة اللبنة الأولى التي يبنى عليها الفرد والمجتمع. وإذا اختلت هذه الرابطة يختل المجتمع، وتنتج العديد من الآفات الاجتماعية، فالزواج هو مسؤولية بين الرجل والمرأة وكل له دور في التربية وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كُلُّكُمْ راعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والإِمَامُ راعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ راعٍ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ ومَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ راعيةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَمَسؤولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهِا، والوَلَدُ راعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ ومَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْخَادِمُ راعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ راعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ».[1]

إلا أننا اليوم أصبحنا نرى بأن الزواج فقد جوهره (المسؤولية)، وأصبح أغلب الأزواج يتهربون عند أول مسؤولية أو مشكلة تواجههم، وهذا ما دفع بأيمن العتوم للسخرية منه على لسان الحمار أبو صابر " فأبو صابر"، ينتقد ويسخر من غياب روح المسؤولية لدى الأزواج، وقد تخلى عنه والده عندما ولدته أمه بيومين، ونسى والده بأنه قطع عهدًا لزوجته بعدم التخلي

[1] – محمد بن عبد الوهاب، الكبائر، تح باسم فيصل الجوابرة، دار الصميعي للنشر والتوزيع السعودية، ط1، 1996، باب كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، ص 196.

عنها مهما حدث، وهذا ما يحدث تماما مع البشر فنجده يقول: « غادر أبي بعد أن ولدتني أمي بيومي (..) ونسى أبي العهد الذي قطعه لأمي ألا يتخلى عنها حتى لو نهشته أنياب الكلاب أو نهشته مخالب الفقر ... »،[1] ويستدرك قائلا : « ولكن الذكور من الحمير مثل الذكور من البشر مستعدون لأتفه الأسباب أن يقامروا بمشاعر زوجاتهم دون أي شعور بالمسؤولية، وأنا أخشى عندما أكبر أن أصبح مثلهم !! ».[2]

المسؤولية، نعم المسؤولية ما أعظمها من كلمة وما أقدسها من مهمة، ولكنها تذهب مهب الرياح مع البشر، فهم ينجبون الأولاد ثم يرمون بهم، وبزوجاتهم إلى أزقة الشوارع، ومن هنا تنتج أغلب الآفات والمشاكل الاجتماعية. ويضيع أغلب الشباب وينتج فرد ومجتمع غير سوي، فالزواج يحتاج إلى رجل وامرأة أكفياء قادرين على تحمل أعباء الحياة، والأسرة من مشاكل وضغوطات الحياة، لا يتخلون عن أولادهم عند أول مشكلة تواجههم، وهذا ما اشترطه الحمار" أبو صابر " عندما أسس حزب الحمير وأراد بعده أن يؤسس محكمة خاصة بزواج الحمير فنجده يقول : «فإنني سأعقد محكمة للتزاوج، ولن يتزوج فيها إلا الأكفياء القادرون على القيام بأعباء الأسرة فنحن لسنا بشرا ننجب وننسى، ونهرب عند أول مسؤولية تواجهنا » .[3]

"فأبو صابر" يسخر من طبائع البشر وغياب الضمير وروح المسؤولية لديهم، فهم ينجبون الأولاد ثم يهربون عند أول مسؤولية تواجههم .

وإن أكثر المتضررين من علاقة الزواج والاختيار الخاطئ هي المرأة والأولاد بالدرجة الأولى، فإن المرأة تضحي بشبابها وصحتها من أجل تربية أولادها، ورعايتهم حتى بعد هجران زوجها لها. فهي تسعى بالفعل إلى مواصلة تربية أطفالها وتنشئتهم تنشئة سليمة، وتحاول جاهدة تعويضهم عن فقدهم لحنان الأبوة، وهذا بالضبط ما حدث مع الحمار " أبو صابر" حينما تخلى عنه والده، فقد بقيت أمه بجانبه ترعاه حتى كبر واشتد عوده، وكانت دائما تعوضه عن غياب والده وتشجعه ونجده يقول في ذلك: « ظلت أمي معي حتى اشتد عودي، كانت تقول لي، أنت

[1] – أيمن العتوم، صوت الحمير، دار ديوان للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 2022، ص 07.

[2] – المصدر نفسه، ص 07.

[3] – المصدر نفسه ، ص 143.

حمار مختلف وإنني أرى مخايل الذكاء تبدو على محياك الجميل، وإنني أشعر بأنه سيكون لك شأن عظيم في المستقبل »[1].

فعلاقة الأم بأبنائها علاقة جليلة ومقدسة، فهي تتحدى مصاعب الحياة وشقاوة البشر لتربية أبنائها ورعايتهم، فهي لا تخون العهد مثلما يفعل أغلبية الرجال الذين يعاهدون زوجاتهم بالوفاء، والمودة والصبر على تربية الأولاد.

لكن سرعان ما تتاح لهم أول فرصة يخونون فيها زوجاتهم، ويخلفون بعهودهم وهذا هو حال البشر، لا يجيدون إلا الكلام المعسول ليضحكوا به على زوجاتهم ويجعلونهم يصبرون على تقصيرهم لهن ببعض الكلام المعسول.

وهذا ما جعل أغلب النساء يفقدن الثقة بأزواجهن، وهذا ما حدث مع" صعدة "عندما أراد أبو صابر الذهاب إلى لبنان لتلبية نداء الواجب والالتحاق بصفوف المقاومة لم تصدق وظنت أنه يريد الزواج من أتان أخرى مثلما فعل أبوه، حيث تقول: « أنتم الذكور تملكون لسانا معسولا تضحكون به علينا. ولكنني صادق، على ماذا أقسم لك حتى تصدقينني ؟ لا تقسم، لاحاجة لي بقسمك، لقد أقسم أبوك من قبل لأمك بذلك وتركها من أجل أنثى أخرى ».[2]

كما نجد الكاتب يسخر على لسان حماره أبوصابر من نقص إيمان البشر وغياب الوازع الديني لديهم وذلك عندما قام " أبو صابر " في أحدى المرات بإيصال" الإمام علي" إلى المسجد ليتفاجأ بوجود عشرة مصلين فقط، وما زاد الطين بلة أن أغلبهم قد تجاوزوا الخمسين أو الستين من أعمارهم، وهذا ما دعاه إلى التساؤل عن سبب غياب الشباب عن الصلاة فنجده يقول « وَأَمَّ الشَّيْخ المصلين، وشعرت من جديد بأن الرحمة تتنزل من هذه الكلمات التي يتلوها الشيخ، لم يكن يصلي في المسجد أكثر من عشرة مصلين أكثرهم كانوا من الذين تجاوزوا الخميس أو الستين من أعمارهم، وتساءلت أين شباب القرية؟ »[3].

[1]– ايمن العتوم ،صوت الحمير ، ص 7.

[2] – المصدر نفسه ، ص 210 – 211.

[3]– المصدر نفسه، ص 14.

كما نجده يسخر أيضا من إقامة البشر الأسواق بجانب بيوت الله فنجده يقول: « وأمام المسجد كان الفلاحون يعرضون المحاصيل والأدوات للبيع ».[1]

وقد تعجب من تلبيتهم لنداءات الباعة، وإعراضهم عن نداءات الآذان. فهم لا يتأثرون عند سماعهم الآذان، بل بالعكس لا يذهبون ألبتة مواصلين تجوالهم في الأسواق ونجده يقول :« وأردت أن أقبض بفمي على كم الشيخ، وأسوق إلى المسجد لينظر بنفسه ويكتشف أنه لا أحد فيه ألبتة، وأن الناس كلهم في السوق، وأن الناس تُرْهُفُ سمعها إلى نداءات الباعة لا إلى نداءات الله ».[2]

وقد أردف قائلا : « وكان الشيخ بالفعل وحده وانتظر طويلا حتى يأتي الناس، ولكنهم لم يأتوا حتى إذ انتصف النهار، ودخل مؤذن المسجد فنادى لصلاة الجمعة دخل بضعة رجال وأولاد صغار، ولم يكمل الرجال الصف الأول والثاني، وكم كان صوت المؤذن ينادي عبر السماعات ((الله أكبر)) كانت أصوات الباعة ما تزال ترى في الشارع ويتردد صداها عاليا ((الحمار بخمسين قرشا)) ».[3]

والأدهى والأفظع من ذلك، فإن سكان هذه القرية قد وكلوا طفلا جاهلا بالقرآن وأحكامه لرفع آذان الصلاة وقد أخطأ فيه أكثر من عشر مرات وهذا ما أثار دهشة وسخرية الحمار أبو صابر من تصرفات هؤلاء البشر حيث يقول « ويبدو أن أهل القرية قد أوكلوا طفلا جاهلا ليؤذن، وقد أخطأ فيه أكثر من عشر مرات ».[4]

ولما رأى الشيخ علي تصرفات سكان القرية أصابته الدهشة من تصرفاتهم وشرورهم، وعلم بأن سكان القرية يفتقرون إلى الإيمان ويغيب الوازع الديني عندهم فنجد" أبو صابر " يقول « وعدنا منكسرين، قال الشيخ : أهل القرى دينهم خفيف ».[5]

وليت سخرية أبو صابر تقف هنا، فقد سخر من نفاق البشر، وتعجب من تلونهم وامتلاكهم لأكثر من وجه، فقد وجد بأن البشر أكثر مخلوقات الله تناقضا و نفاقا، فبعضهم يؤدي الصلاة،

---

[1] – ايمن العتوم ،صوت الحمير ، ص 19.

[2] – المصدر نفسه ،،ص24.

[3] – المصدر نفسه، ص 25.

[4] – المصدر نفسه، ص 78.

[5] – المصدر نفسه، ص 25.

ولكنه يأكل لحم أخيه غيبة ونميمة وذلك بعد ما سمع سخريتهم من " الشيخ علي" وحماره السابق « وتعجب كيف يذهبون إلى الله وهم يؤذون خلقه ».[1]

وهذا هو حال أغلبية البشر اليوم، فهم يأكلون لحم بعضهم البعض غيبة ونميمة ثم يتوجهون إلى المساجد لأداء الصلاة « البشر مجانين، مجموعة من المعاتيه، إنهم لم يكتفوا بأن يأكل بعضهم لحم بعض، بل إنهم تعدوا ذلك إلى أن يأكلوا لحومنا ... ».[2]

كما سخر" أبو صابر" من قيام بعض البشر بشهادة الزور، وخيانتهم للأمانة وذلك عند قيامهم بغلق المذياع، عند سماعهم لموضوع الحلقة الذي كان يتمحور حول الأمانة فنجده يقول : « دفع الفضول النصف الذين أغلقوا المذياع في الحلقة الأولى، والنصف الذي قهقه أن يسمع في الحلقة الثانية التي كانت تدور عن الأمانة « فما الأمانة ؟» « أن تقول الحق ولو على نفسك، ويكون لك وجه واحد لا ألف وجه » .[3]

وما أثار سخريته أكثر هو تفاخرهم بأنسابهم وأمجادهم حيث يقول « إن التفاخر بالأنساب، والكبر على الخازوق كما يقولون لا تكون إلا بين قليلي العقول من البشر، أما نحن الحمير، فنتفاضل فيما بيننا بالعمل وبقدرتنا على الإنجاز ».[4]

وهنا يتوافق مع قول ابن الوردي :

لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدا إِنَّمَا أَصْلُ الفَتَى مَا قَدْ حَصَّلْ [5]

2/ السخرية السياسية :

لطالما كانت ولا تزال الأوضاع السياسية المتردية سببا في توجه أغلب الأدباء إلى الكتابة في موضوع السخرية السياسية، فمن خلال هاته الكتابات « يشعرون بأنهم ليسوا ضعفاء وأنهم يملكون قوة حيوية وثباتا وكيانا شخصيا لا يمكن أن تطمسه القوة الأكبر [6]».

---

[1] – أيمن العتوم، صوت الحمير، ، ص 13.

[2] – المصدر نفسه ص 207.

[3] – المصدر نفسه، ص 172.

[4] – المصدر نفسه، ص 67.

[5] – محمد بياه الشنقيطي، ريما خالد وهبي، لامية ابن الوردي، معهد الإمام للتأسيس اللغوي، ص 03.

[6]– محمود محمد علي، أدب السخرية السياسية، باسم يوسف وجوشو، جامعة أسيوط. ص 5

وقد التجأ هؤلاء « إلى مجال السخرية السياسية ليكونوا هم الفاعلين الرئيسيين فيه يخلقون لأنفسهم أدوات شديدة البلاغة في الإشارة إلى مواطن قصور الممارسات السياسية للسلطة معتمدين في نقدهم على الهزل والرمزية »[1] .

وقد اتخذوا من السخرية سلاحا للتعبير عن الفساد السياسي والظلم والقمع وغياب العدالة.

وأيمن العتوم واحد من أولئك الكتاب، الذين عبروا عن سخطهم على هاته الأوضاع، فقد جعل" أبو صابر" كأداة للسخرية، من الأوضاع السياسية المتردية وتجنب الإفصاح المباشر، واعتمد على توظيف الرمزية الساخرة فانتقد على لسان" أبو صابر" الأوضاع السياسية المتردية والسلطة الغاشمة، فنجد "أبو صابر" يسخر من الأحزاب السياسية ومن غياب كفاءة ووعي أصحابها، وذلك عندما قرر أن ينشئ حزبا خاصا بالحمير قائما على العدالة والمساواة، وتساءل هل يقبل فيه عضوية البشر فهو يقول يحي الذكاء ... ولى عهد الاضطهاد ... أيها العالم فلتشهدوا ولنستقبل حزبا ليس كأي حزب ... إنه حزب الحمير »،[2] ففي هذا القول إشارة إلى غياب كفاءة الأحزاب السياسية، وافتقارهم إلى الكفاءة والخبرة وهذا ما نجده اليوم في البيئات العربية.

وأردف قائلا: « هل نقبل عضوية البشر في الحزب أم نستغني عنهم فلدينا ما يكفي من الحمير؟ »[3] ولسنا في حاجة إلى أحمرة بشرية بليدة.

كما سخر أيضا من فساد الحكام العرب، وتبعيتهم للغرب فتجده يقول في ذلك : « فأنا لست مثل الزعماء العرب ولا مثل الحكام الشموليين الذين يلتصقون بالكرسي ولا يتركونه ولو أهلكوا ثلاثة أرباع شعبهم، ولا يمكن أن يغادروا منصبهم إلا بواحدة من اثنتين، عزرائيل أو أمريكا ».[4]

فهو يسخر ممن تمسك من الحكام العرب بالسلطة والكراسي، حتى تداركه الموت أو فرض عليه تركه بالقوة، فأغلبهم كان سببا في الفساد السياسي. فقد باعوا مبادئهم للصهاينة وأمريكا، وتخلو عن إخوتهم وأبناء جلدتهم وخير دليل على ذلك ما يحدث في فلسطين اليوم.

---

[1]– أيمن العتوم، صوت الحمير، ص 136.

[2] – أيمن العتوم، المصدر نفسه، ص 135.

[3] – المصدر نفسه، ص 136.

[4] – المصدر نفسه، ص 16.

فالحرب هناك ما كانت لتكون، إلا بسبب تواطأ الحكام العرب مع الصهاينة، فقد باعوا أوطانهم وشربوا دماء إخوانهم رغبة، ورهبة وحبا في المال والمناصب. وقد راح يشير إلى ذلك مخاطبا الصهاينة:« ولو أردت أن أشير إلى أنهار الدم التي أسلتموها لتطلب مني ذلك عشرات الساعات ؟ إنكم لم تكتفوا بأن قتلتم أنفسكم، بل جئتم إلى بلاد العرب فعثتم فيها فسادا، وصببتم عليها القنابل والنيران والموت صبا، طبعا أنا أعرف أنك ستقول : إن حكام العرب قد فعلوا ذلك أيضا بشعوبهم، وأننا ما جئنا إلا بطلب منهم، وأنا لا أنكر ذلك ولا أحد يستطيع أن ينكره، ولكنني أقول إنكم جمعتم على هذا الجنس البشري المسكين المسمى عربا مصيبتين، سيفا ينشب في الصدر، وخنجرا يطعن في الظهر، أما النار فكانت تلتهب في الأطراف كلها» .[1]

وفي نقده للسياسة الأمريكية سخر بدوره من المرشح الديمقراطي للرئاسة الأمريكية فقد أشار ان له فضلا كبيرا في نهضة الوعي السياسي الأمريكي حيث كان يكتب خطاباتهم حيث نجده يقول : « وقدر للرئيس أن يفوز بسبب الخطابات التي كتبتها والتي كان يتقن إلقاءها، ولكنه بعد وصوله إلى السلطة تنكر من تلك المبادئ في السير وإن ظل ينادي بها في العلن ».[2]

وقد أشار أيضا إلى فساد الإعلام العربي، حينما تحدث عن الدعاية السياسية التي تقدمها بعض البرامج التلفزيونية والإذاعة أيضا حيث يقول في ذلك « وتأسست الإذاعة، ووجدت كثيرا من الداعمين، حتى إن حكومة بريطانيا تقدمت بدعم مالي كبير للإذاعة من أجل أنها ترفع القيم التي تنادي بها بريطانيا، فاعتذرت عن قبولها حتى لا تكون شبهة فساد، وقلنا: يكفي أن يجمعنا هذا الإيمان المشترك ».[3] فهو يفضح وسائل الإعلام والدعاية السياسية، حيث أصبحت بعض القنوات التلفزيونية مدعومة خارجيا، وخائنة لقيم ومبادئ أوطانها وخائنة للإنسانية عامة، كما نراه ينوه بإعلام الحمير في قوله : « إن صوت الحمير ستكون أكبر الإذاعات التي تقبل حرية الرأي، وتناقش الآراء بعلم وحجة، ولن توظف أحدا فيها بناء على انتمائه السياسي والحزبي، ولن تطرد أحدا منها بناء على اكتشافها لميوله الفكرية، هذا هراء، أنا لن أوظف في إذاعتي مزيدا من

[1] – ايمن العتوم، صوت الحمير196.

[2] – المصدر نفسه، ص 202.

[3] – المصدر نفسه ، ص200.

الأشخاص الذين يشبهونني سأكون قد حكمت بذلك على نفسي بالموت، بأن أحوم في حلقة مفرغة، بأن أجلب إلى صوتي مزيدا من الأعناق التي تصفق وتهتف دون أن تدري لماذا؟ ».[1]

فهاته الدول التي تسمي نفسها بالعالم الحر، هي من تكمم أفواه البشر الصادحة بالحرية وتغتصب أوطانهم .وتنهب ثرواتها وهذا ما يحصل اليوم في بيئاتنا العربية وغيرها .

3/ السخرية الدينية :

الطعن في الدين والمؤسسة الدينية وفي رجالتها يعد كسرا لطابو مقدس، خاصة إذا كان بأسلوب ساخر وهو ما يعرف بالسخرية السوداء، التي تهدف إلى الهدم والتدمير .

« فلا محرمات أمام السخرية السوداء سواء كانت دينية أو اجتماعية أو سياسية ».[2]

« ولكن إذا تعلق الأمر بتيمة مهمة ومقدسة كتيمة الدين، فستنقلب الموازين حتما، لتصبح أكثر الأساليب لطفا أكثرها تجريحا، وأقل الوسائل تعريضا أكثرها قساوة وإيلاما[3]».-

فالمساس والسخرية برمز من رموز الدين، أو بآية من آيات القرآن الكريم أو من رسول من الرسل، تعتبر جريمة في حق الدين ومحاولة لتشويهه والمساس بقداسته ورواية (صوت الحمير) تدخل في هذا الإطار، حيث تعرض لنقد المؤسسة الدينية. وهذا ما أدى بوزارة الأوقاف ودائرة الإفتاء الأردنية إلى مصادرة هذه الرواية ومنعها من النشر في الأردن. فقد اعتبروها إساءة وإهانة للأمة، والمشايخ وعلماء الدين السلف. وقد أحدثت هذه الرواية، ضجة كبيرة في الأردن عام 2021وانقسم جمهورها بين معارضين ومؤيدين.

فبكتابة العتوم لهذه الرواية، جعل قراءه في دهشة وحيرة من أمرهم، فالعتوم الذي اشتهر برواياته الدينية واقتباساته الكثيرة من القرآن الكريم.

و تنشئته الدينية التي يعرفها الجميع، يكتب رواية يسيء فيها إلى الأئمة وعلماء الدين.

ولكن بعد سؤاله، نفى أن تكون غايته الإساءة إليهم فهو يحترمهم جدا.

ولعل ما بدا قاسيا على القوم، هو أن سخريته جاءت على لسان حماره الذي أودع فيه العقل والذكاء والوعظ وسلطه النقد من تصرفات وطبائع البشر.

---

[1] – المصدر نفسه، ص 199.

[2] – مليكة صياد، المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة، أمين الزاوي وآسيا جبار أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب العربي، جامعة زيان عاشور، الجلفة، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2019/2018، ص 117.

[3] – مليكة صياد، المرجع نفسه. ص 117.

فراح بذلك ينتقد شيخه ومالكه الشيخ علي إمام مسجد "سوف " بالأردن، وقد اتهمه بالعديد من التهم (لعان، طعان، سارق، قاتل ، جاهل...) الخ والعديد من الأوصاف التي لا يليق ذكرها في هذا المقام.

كما صوره بأنه يشتم بأحقر العبارات وذلك عندما قام أحد الأطفال بضربه بالكرة على رأسه فأثار ذلك حفيظته فشتمه بأحقر العبارات « وفقد الشيخ وعيه للحظات، قبل أن يستعيده ليعرف ما أصابه، ويبدأ بالشتائم: ((يا أخوات الشَّ ...)) ((يا أولاد القَحَ ...))، ولم أتخيل للحظة أن هذا الشيخ العالم قد يتلفظ بهذه العبارات البذيئة جدا ولكن سيل الشتائم لم يتوقف: ((يلعن أبو إلي بَزَرْكُمْ يا أولاد ...)) ».[1]

وقد قام الحمار بالانتقام من الشيخ فراح يركض به هربا من الأولاد فشتمه الشيخ بأحقر العبارات « وأنت يا ابن الحرام أين تركض بي »،[2] كما شتمه أيضا عند ما قربه هربا من الكلب الأسود : « يا حمار ...يا حمار ... أتفو على أيو ... ».[3]

كما شتم الأطفال بأخذهم لملابسه حينما كان يزهو رفقة حماره في النهر « يا أولاد ... يا أولاد ... اتركوا لي الثياب ».[4]

وشتائم الشيخ كثيرة جدا ولا تنتهي فقد أراد أن يشتم والدة " أبو صابر" ولكنه تراجع عن ذلك عندما حذرة " أبو صابر " « ولعنة الله على ... » وأراد أن يشتم أمي فحذرته، فتراجع ».[5]

كما شتم الفلاحين بعد أن عاتبوه عن غيابه عن المسجد لمدة شهرين، « تغيب عن شهرين وتأخذ راتبك من الحكومة وتدعي أنك تشيخ ؟هذه سرقة ؟! أليست هذه سرقة ؟! » وشتمهم، لم يسمعوه، لكنني سمعته يقول لهم « يا أولاد ... ساعدوني الآن، ثم عاتبوني ».[6]

ومن مظاهر سخريته من الشيخ علي أيضا اتهامه له ينقص الإيمان والخشوع ، « وفي الليل قام الشيخ علي فصلى وقرأ سورة يوسف، وبكيت وأنا أسمع السورة منه أكثر من ثلاثين

---

[1] – أيمن العتوم، صوت الحمير، ص 26.

[2] –أيمن العتوم ، المصدر نفسه ، ص 26.

[3] – المصدر نفسه، ص 26.

[4] – المصدر نفسه، ص 76.

[5] – المصدر نفسه، ص 77.

[6] – المصدر نفسه، ص 78.

مرة، وكنت أبكي براحتي لأنه لا أحد يراني في الظلام، وكنت مع كل موقف أبكي فيه أنظر من خلال دموعي الغزيرة إلى الشيخ فلا أرى عليه أية علامة من علامات التأثر» !! . [1]

والأدهى والأعجب من كل هذا تصويره له بالمجون والفسق في عدة مواقف :

1/ مشاهدته للأفلام والمسلسلات الليلية « وعندما كنا نعود من صلاة العشاء، كنا نسهر أنا والشيخ فنحضر أفلام أسمهان، وإسماعيل، ياسين، وأغاني أم كلثوم، ... ».[2]

2/ تجرده من ملابسه للهو مع الحمار في البركة « يبدو أنك لا تجيد السباحة، وأنك خائف » وأثار ذلك حفيظة الشيخ فخلع في البرد قفطانه، وفك سراويله، ورمى عمامته، وقفز في الماء دون أن يفكر، وصحت : ((رائع إنك تبدو مثل مراهق)) ».[3]

كما صور الشيخ على أنه كان " سوكرجيا " وسكيرا، قام بقتل زوجته في الماضي بعدما اكتشف خيانتها له مع أحد الفلاحين .

وذلك جراء إهماله لها ولابنته مريم، ولإخفاء جريمته وتخلصه من تبعاتها هاجر الأردن وقصد مصر، حيث انتسب إلى جامعة الأزهر. وصار إماما بإحدى القرى الأردنية، إلى أن تعرف عليه أحد(الدكانجيين)، وناداه " بالسوكرجي " فتزلزل حاضر الشيخ المحترم، وتذكر ماضيه الأليم ووقتل زوجته وتقطيعها إلى أشلاء، ثم دفنها في التراب، « وصاح " علي السوكرجي !" فانخرع الشيخ، وأخفض رأسه، وهتف بصوت مبحوح : ((نعم هو، ولكننا تبنا))، وراح الدكنجني يصيح : ((أين غِبْتَ كل هذه السنوات ؟ قتلت زوجتك وهربت؟ .....» . [4]

كما وصفه بالجاهل عندما كان الشيخ في رحلة رفقه حماره (أبو صابر)، ودوى الرعد، فخاف الشيخ وهطلت الأمطار، وتقلبت الأوضاع فقام الشيخ بركل حماره، وأمره بالتقدم ولكنه لم يكن يعلم بأنه يلقي بنفسه إلى الهلاك. فالمطر لن يتوقف والطريق مسدودة « ... وهوى الشيخ من الخوف بالعصا على رقبتي وهو يحثني على المسير: ((أسرع حتى نَفْلت من المطر))، ولكنه كان يسوقنا إلى حتفنا، ولم أشأ أن أنال مزيدا من العصي، فطاوعته، وهتفتُ: الجاهل يسوق نفسه لتتردى في الحفر)) » [5].

---

[1] المصدر نفسه، ص 46.

[2] – أيمن العتوم، صوت الحمير، ص81 .

[3] – المصدر نفسه، ص 75.

[4] – المصدر نفسه، ص 107.

[5] – المصدر نفسه. ،ص43.

وقد واصل العتوم سخريته من الشيخ علي " على لسان الحمار "أبو صابر"، ليسخر منه ويصفه بعبارات بذيئة جدا. يتحتم علينا ذكرها، فقد شبهه ببعرة الشاة التي تتأرجح في قفا الشّاة «فصرخ مرعوبا: ((اذهب واطلب لي النجدة)) – فقلتُ: إلى أين ؟)) فقال وهو يتأرجح مثل بعرة في قفا الشّاة : ((إلى أي مكان ... إلى أي شخص يمكن أن يساعدني)) ». [1]

كما شبهه بالحمار عندما عطش الشيخ في إحدى المرات، جراء رحلته الطويلة على إحدى القرى. فنزل من فوق حماره " أبو صابر " ودنا من العين لكي يروي عطشه فشبهه بحماره" أبو صابر" وجاءت هاته السخرية على لسان" أبو صابر"« ... وسابقته إلى العين، ووصلت إليها قبله، فجثوت على رُكبتي وجثا الشيخ على ركبته، وأَدْنَيْتُ رأسي من الماء وأدنى هو كذلك رأسه وبدا عنقه مع جذعه مثل عنقي، والتفتُ نحوه فندّت مني ضحكة مرحة، لقد كان الشيخ يشبهني تماما ! ... ».[2].

كما وصفه الكاتب أيضا أنه كان بذيئا، وقليل عقيدة « وهكذا حفظت على الشيخ أكثر من ألفي كتاب ورسالة خلال ما يزيد عن عشرين سنة هي مدة صحبتي له، وكان الشيخ فكها في كثير من الأحيان ولكنه كان بذيئا في بعض الأحيان، بذيئا جدا وأطلعني على أسرار لم يطلع عليها أحدا من قبل ! ».[3]كما اتهمه بضعف الإيمان والعقيدة « ... وأما عقيدة الشيخ فكانت ناقصة ... ».[4] وليت إساءته هذه توقفت على السخرية من الأمة والشيوخ فقط، بل تعدت وتخطت كل الحدود. فنجده قد سخر من علماء الدين السلف الذين، يعتبرون من أعمدة ورجالات الدين والعلم.

واتهمهم بالتقعر اللغوي، ويتجلى ذلك من خلال قوله على لسان أبو صابر« حمل الشيخ علي معه كتابا في الأخلاق لزهرة بن سعد، كان في الطريق يراجع ما سيقوله بصوت عال، فحفظت كل ما قال عرفت أنا ابن سعد هذا كاتب ممتاز لغته ليس فيها التقعر الذي عند الشيوخ الآخرين ... ».[5].

---

[1] – أيمن العتوم، صوت الحمير ، ص 65.

[2] – المصدر نفسه، ص 47.

[3] – المصدر نفسه، ص 14.

[4] – المصدر نفسه، ص 60.

[5] – المصدر نفسه، ص17.

كما سخر من الشيوخ أيضا في عدة مواقع، وأساء إليهم إساءة مهينة فقد أهانهم حينما قام بمفاضلة الحمار أبو صابر، وصوره على أنه صار أعلم وأفقه من علماء الدين السلف.

حينما مكث بصحبة الشيخ علي، وحفظ عنه العديد من الكتب، ومن بين هؤلاء العلماء الذين سخر منهم (شيخ الأزهر، شيخ الزيتونة، ابن سينا، شيخ مكة، ابن رشد ...)، ويظهر ذلك من خلال قول الحمار " أبو صابر": « ولقد مكثت بصحبة الشيخ السنين الطوال فما فارقته، وما فارقني، وحفظت عليه ما لم يحفظه شيخ الأزهر، ولا شيخ الزيتونة، ولا شيخ مكة، وتفقهت ما لم يتفقه به سعيد ولا عكرمة ولا قتادة ولا سفيان، وتفلسفت ما لم يتفلسف به ابن رشد ولابن سينا ولا ابن باجة ولا ابن خلدون ».[1]

وسخرية العتوم من هؤلاء العلماء، الذين يعتبرون من رموز الدين والعلم، لم تكن إساءة لشخوصهم فقط، بل كانت إساءة إلى الدين الإسلامي ككل وتابع العتوم سخريته من الشيوخ، واصفا إياهم ببئر الخفايا والأسرار وأن نواياهم خبيثة وهم لا يؤتمنون.

وذلك على لسان الحمار" أبو صابر" حيث يقول: « ... ولم أهتد إلى حقيقة ما يريد الشيخ، وشعرت يومئذ أنّه خابية أسرار، وأنه بئر خفايا رغم أنني صادفته كل هذه السنين ضانا أني أعرفه أو أعرف نواياه، ولكن الشيوخ خطرون، لا يؤتمنون وأن نيتهم غير طيبة.

ويظهر ميل الكاتب إلى النصرانية ورهبانها في الرواية، حيث راح يحسّن من صورة القساوسة في سلوكهم الكهنوني– الاجتماعي، واصفا إياهم بالطيبة، وهم يستقبلون الناس برحابة صدر، بينما صور الشيوخ على أنهم الفضين الغليظين، وذلك عندما منع الشيخ حماره من دخول الكنيسة. ولكن القسيس رأف بالحمار، وسمح له بالدخول مخاطبا الشيخ: بأن الكنيسة بيت الرب المفتوح للجميع سواء كان بشرا أو حيوانا، فهي تستقبل الجميع « وقال الشيخ: ((أنا أريد أن أربط هذا الحمار في الإسطبل، وهو يصر على الدخول)) فابتسم القس، وقال: بيت الرب لكل من أحب فقلت في سري: ((قس طيب، وكلام عذب)). وهتف الشيخ: ((ولكنه حمار !!)) فرد القس: ((ولكنه خلق الله، فدعه لكي يراه [2]».

ومن خلال القول السابق للحمار" أبو صابر"، يتضح لنا بأن العتوم أراد أن يعطي للقساوسة صورة أحسن من المشايخ وبأنهم طيبون متسامحون مع الناس، وأن المشايخ

[1] – أيمن العتوم، صوت الحمير، ص 80.

[2] – المصدر نفسه، 71.

والأئمة فضون غليظون، يفتقدون إلى أسلوب اللطافة وتغيب عندهم الرحمة والرفق بمخلوقات الله تعإلى في الأرض. وقد يبدو عند المحافظين أن السخرية من رجال الدين، إساءة للدين نفسه على اعتبار أن تسليط النقد على هذه الفئة بمثابة اختراق لحرمة الدين وقداسته. لكن الأمر عند غيرهم لا يعدو إلا أن يكون، نقدا للأفراد أو منظومة بها اختلالات تحتاج إلى هزة إصلاحية ولو على لسان حمار.

4/ السخرية الثقافية:

لم تقتصر السخرية على الجانب الاجتماعي والسياسي والديني فقط، بل تعدت ذلك لتشمل أيضا السخرية الثقافية.

فنجد العديد من الكتاب انتقدوا الأوضاع الثقافية للمجتمع، وأيمن العتوم واحد من بين هؤلاء الكتاب الذين حاولوا الإلمام بجميع الجوانب فقد تطرق أيضا إلى الجانب الثقافي بشكل ملفت في (صوت الحمير) ولطالما كانت الخرافات والإشاعات رمزا من رموز تشكل الثقافة الإنسانية على مر العصور.

ورغم التطور العلمي والتكنولوجي الذي يشهده العالم اليوم إلا أن بعض الناس، ما زالوا يؤمنون ببعض الخرافات والأقاويل دون تمحيص أو غربلة. وإن الأدهى والأغرب من كل هذا، أن بعض الدول أصبحت تستغل هاته الإشاعات والأقاويل.

وجهل ثقافة هؤلاء البشر في الترويج إلى منتجاتها، ورفع اقتصاد دولها من خلال الصحف والإذاعات والبرامج التلفزيونية، ففي هاته الرواية ينتقد العتوم الصحف البريطانية التي تروج لغنى لحم الحمير بالبروتينات والمعادن. وأنه يمد الإنسان بالذكاء « أكدت صحيفة ديلي ميل البريطانية أن لحوم الحمير آمنة للاستهلاك الأدبي بشرط ذبحها بطريقة صحيحة، وأنها غنية بالبروتينات والمعادن، وتتميز بقلة الدهون وأكدت الصحيفة، أنه بالرغم من أن الحمار معروف عنه عدم الذكاء إلا أن لحومه تساعد على تنمية نسبة الذكاء !!! ».[1]

ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن للصحف والجرائد أهمية كبيرة في تشكل الوعي لدى الناس، إلا أن بعض الصحف والجرائد، أصبحت تنشر بعض الخرافات التي تخدم اقتصاد بلدها وتحقق لها مصلحة شخصية.

[1] – أيمن العتوم، صوت الحمير، ص 208.

ونحن نرى اليوم انتقال بعض هذه الخرافات والإشاعات إلى بعض الشعوب العربية ففي مصر مثلا – كما يشير العتوم – أن التجار أصبحوا يبيعون لحوم الحمير ويعرضونها في ثلاجاتهم ويكتبون فوق تلك الثلاجات كلوا من طيبات ما رزقناكم « وليت الأمر يقف عند هذه الصحيفة البريطانية المعتبرة، الصادرة عن الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، كذلك، بل إن الأمر تعداهم إلى الشعوب العربية، إلى أم الدنيا، إلى مصر، إنهم يبيعون لحومنا هناك ويعرضونها في ثلاجاتهم ويكتبون فوق تلك الثلاجات: ((كلوا من طبيبات ما رزقناكم)) ».[1]

وليت الأمر اقتصر على خرافة لحم الحمير فقط، فلم يسلم حتى حليب الحمير من هذه الإشاعات فقد انتشرت بعض الإشاعات التي مفادها أن حليب الحمير يشفي المريض من الربو، لكونه يحتوى على العديد من الفيتامينات. فهو أحسن من حليب الأم وهو يعطي الجسم نضارة وإشراقة، ويعيد الشباب وهذا ما حصل مع أم أمريكية صدقت هذه الإشاعات، وقامت بإعطاء حليب الحمير لابنها الرضيع بهدف الشفاء من الربو، « ثلاث مرات في اليوم ليشفى من الربو وينمو سليما، ولكي تعوضه عن جفاف ثدييها، فقد وصفه الطبيب لطفلها كونه يحتوي على فيتامين – أكثر من الفيتامين نفسه في حليبها بستين ضعفا – وحدث أن أصاب الطفل اختناق ومات وفي التشريح قال الطبيب الشرعي أن السبب هو أن الحليب الذي كانت تعطيه الأم لابنها مغشوش، وأنه كان مخلوط بحليب حيوانات أخرى وليس حليب حمير صافيا ».[2]

ورغم ما حدث مع هذه الأم، وفقدانها لابنها إلا أن الناس لم يتعظوا وأصروا على تصديق هذه الخرافات والإشاعات. ولكن السؤال المطروح هنا: كيف لدولة بحجم دولة أمريكا أن تنشر مثل هذه الإشاعات وتروج لها إن لم يكن لها مصلحة في ذلك ؟.

والأغرب من كل هذا أن جل هذه الإشاعات، حول حليب الحمير وشهرته كانت نابعة من أهم مراكز الدراسات والأبحاث الأمريكية ولكن كل ما تقوله أمريكا يصدقه الشعب وكأنه وحي من السماء. وقد أصبح الناس في كل بلدان العالم، يتسابقون على شراء حليب الحمير بأسعار باهظة مقابل القليل منه بعد انتشار إشاعة أن حليب الحمير يمد الإنسان بالصحة والعمر المديد والذكاء الخارق « ... وهذه الإشاعة كانت نابعة من دراسة صدرت عن أهم مركز الدراسات الطبية في أمريكا، ولأن كل ما تقوله أمريكا في العصر الذي أعيشه مصدقا وكأنه وحي من

[1] – ايمن العتوم، صوت الحمير،ص ، ص 208.

[2] – المصدر نفسه، ص 180 .

السماء، فإن الناس أقبلت على حليب الحمير تشربه بنهم ، واجتاح حليب الحمير العالم، وأصيب الناس بالجنون وهم يسعون للحصول عليه ».[1]

ومن خلال هذا القول تتضح لنا مدى خطورة الوضع الذي آلت إليه الشعوب العربية وغير العربية جراء تصديقهم لهاته الخرافات وتقليدهم الأعمى للغرب الذي هدفه الوحيد هو المال، وتحقيق الربح فلو تحلى بعضهم بالوعي لم انتشرت مثل هذه الخرافات والإشاعات.

5/ السخرية من الإعلام والصحافة:

يمثل الإعلام والصحافة أحد أهم الركائز والبنات الأساسية، التي يبنى عليها المجتمع فهما بمثابة الحلقة الواصلة بين المجتمع والسلطة ولهما دور فعال، في تشكيل الرأي العام ونشر الوعي في المجتمع. ف « ... الإعلام في وجهه المخطط والمنظم (...) لم يعد صدفة أو خدمة عارضة وإنما هو استثمار للأفكار والفرص فهو ميكانيزم في غاية الأهمية والخطورة في نفس الوقت تطبق عن طريقه المخططات السياسية والاقتصادية ».[2]

وهذا ما أفقده جوهره ووظيفته الأساسية، فقد أصبح كل من الإعلام والصحافة أداة لتضليل والتحيز وتطبيقا للمخططات السياسية والاقتصادية، وطمسا للحقيقة وغيابا للمصداقية والشفافية.

وهذا ما أدى بالعديد من النقاد إلى السخرية منهما، ونقدهما نقدا لاذعا فأيمن العتوم واحد من أولئك الذين سخروا وانتقدوا كلا من الإعلام والصحافة في هاته الرواية، واعتبرهما أداة لتضليل وتحقيق المخططات السياسية والاقتصادية وذلك على لسان الحمار" أبو صابر" الشخصية البطلة في هذه الرواية، فهو عن طريقه يسخر من وسائل الإعلام. وتحديدا من الإذاعة فقد اعتبرها أداة لتضليل، وهو يسخر بدوره من القائمين عليها من صحافيين ومدراء، ويشبه بعضهم بالحمير في الغباء ويصفهم بغياب الكفاءة والمصداقية، وذلك عندما جعل الشخصية البطلة حمار يدعى " أبو صابر " يرتاد الإعلام وينشأ إذاعة خاصة بالحمير، سماها (بصوت الحمير) فيصبح محررا، ويقدم برنامجا إذاعيا يتابعه العديد من الحمير عبر العالم.

وهذه إشارة وسخرية واضحة من الإعلام ومن الجمهور الذي أصبح يمجد التفاهات. فالكاتب في هذه الرواية يسخر من الإذاعة، عن طريق الشخصية البطلة الحمار " أبو صابر " ويوجه لها نقدا لاذعا ويعتبرها وسيلة للزقزقة والفرفشة وملء عقول الناس بالتراهات والتفاهات فنجد الحمار

[1] – المصدر نفسه، ص 178.

[2] – شريفة ماشطي، مكانة الإعلام في المجتمع، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، عدد 34، 2010، ص 110.

أبو صابر يقول لأحد مدراء قناة إذاعية « إن إذاعتكم فقيرة » فرد: ((من دون شتائم)) فقلت: أنا لا أشتم، أنا أقول الحقيقة، هل من المعقول أن تكون ثلاثة أرباع برامجها للزقزقة والنطنطة والفرفشة وملأ عقول الناس بالكلام الفارغ، ولا يكون فيها برنامج واحد يعطي لحياتهم معنى وللإذاعة قيمة ؟ ! في أي عصر تعيش ؟».[1]

تظهر سخرية الكاتب من الإذاعة متجلية، من خلال هذا القول فكأنه يحاكي الواقع المعيش من خلال قوله هذا فقد أصبحت الإذاعة بل وجل البرامج التلفزيونية أداة للفرفشة والزقزقة وللهو والمجون وتضييع الوقت والكلام الفارغ.

وذلك بدعوة بعض المشاهير والمغنيين، لالقاء بعض الحوارات الخاصة بحياتهم وأبرز ألبوماتهم الغنائية ومشاريعهم المستقبلية، ونجد الجمهور يصفق ويزهر ويمرح. ولكن إذا تعلق الأمر ببعض البرامج الدينية التي تعود بالفائدة عليهم لا يحظرون هاته البرامج ولا تلقى هاتيه لبرامج آذانا صاغية « فالناس تفضل أن تسمع أغنية واقعية على أن تسمع قصيدة خالدة ».[2]

وهذا راجع إلى غياب الوعي، وانتشار الجهل في المجتمع وتقديس الجمهور للتفاهات وهنا يكمن دور الإعلام في نشر الوعي، ولكنه اليوم أصبح أداة لطمس الوي والتضليل.

والكاتب في هذه الرواية يسخر، ويوجه نقدا لاذعا للإذاعة ويشير إلى أنها أصبحت مدرسة ورمزا لغياب الكفاءة والحكمة حيث يقول على لسان " أبو صابر « وظلت إذاعة (صوت الحمير) علامة بارزة في العمل الإعلامي، ومدرسة تعلم منها الكثيرون، وسار على قيمها أهل الفهم والحكمة !».[3]

وليت الأم اقتصر على هذا فقط، بل أصبحت الإذاعة وبعض القنوات التلفزيونية تشكل دعاية سياسية لبعض الشخصيات السياسية المرموقة كما يسمونها، وأصحاب النفوذ مقابل حصول مديريها على المال، وذلك حينما يدعونهم إلى بعض الحصص الإذاعية والتلفزيونية من أجل إلقاء كلمة أو إبداء آرائهم في مشكلة أو موضوع ما.

---

[1] – أيمن العتوم، صوت الحمير، ص 167.

[2] – المصدر نفسه، ص168.

[3] – المصدر نفسه ، ص203.

و يسخر الكاتب من تصرفات هؤلاء البشر، ويفضح سلوكياتهم، حيث يقول على لسان " أبو صابر" « وانتشر برنامج (صوت الحمير) بين الخلق وكانت الناس تنتظر بثه بالثانية، وطلب عدد من الوزراء والأمراء أن يحلوا ضيوفا عليه، فأبيت، فأنا لا أتقن التملق والتزلف، والبشر على عاداتهم يغضبون إذا ما واجهتهم بحقيقتهم، إضافة إلى أنني لا أريد للبرنامج أن يُحْسَب على توجه سياسي دون آخر، فالحمير لا تعترف بهذه التوجهات اليائسة، ولا تؤمن إلا بأنفسها »[1].

ومن خلال ما سبق نستنتج أن دور الإعلام قد اختل واختلت وظيفته الأساسية، واختل معه نظام وتوازن المجتمع، فبعد ما كان وسيلة فعالة في نشر الوعي وأداة لتشكيل الرأي العام. وأصبح أداة لتحقيق المخططات السياسية والاقتصادية ووسيلة لطمس الحقيقة والتضليل ونشر الاشاعات والتفاهات في المجتمع.

المبحث الثاني: آليات السخرية في الرواية:

مما لا شك فيه أن توظيف السخرية في الرواية مهما كان نوعها (اجتماعية، سياسية، دينية، ثقافية، إعلامية ...) الخ يحتاج إلى آليات وأساليب لتوظيفها وقد زخرت هذه الرواية التي هي محل الدراسة بالعديد من الآليات والأساليب التي وظفها الكاتب منها:

1- أسلوب التعجب:

يعد أسلوب التعجب من أهم وأبرز الأساليب في اللغة العربية وهو يعبر عن حالة شعورية تحدث في النفس جراء الدهشة والانفعال و« التعجب هو استحسان الشيء واستعظامه، أو استقباحه واستحقاره » [2].

وقد ورد أسلوب التعجب في الرواية في عدة مواضع منها قوله:« وشعرت بالكراهية الطافحة من قلوب هؤلاء الفلاحين، وتعجبت كيف يذهبون إلى الله وهم يؤذون خلقه ! »[3]

---

[1]- أيمن العتوم ،صوت الحمير222.

[2] - إبراهيم بن سالم ب محمد الجهنمي، أسلوب التعجب نظرة في حده وتفسيره وإعراب منصوبه ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، ع 6. 2015. ص 266.

[3]- أيمن العتوم، المصدر نفسه، ص 16.

فهو هنا يسخر منهم، ويتعجب من هول الموقف ،من نفاق البشر فهم يذهبون إلى الصلاة ولكن يؤذون بعضهم البعض غيبة ونميمة ونجد قوله أيضا: « وفي الليل قام الشيخ فصلى وقرأ سورة يوسف، وبكيت وأنا أسمع الصورة منه أكثر من ثلاثين مرة. وكنت أبكي براحتي لأنه لا أحد يراني في الظلام، وكنت مع كل موقف أبكي فيه أنظر من خلال دموعي الغزيرة إلى الشيخ فلا أرى عليه أية علامة من علامات التأثر !! »[1].

فهو في هذا القول يسخر من الشيخ ومن برودة أحاسيسه وقساوة قلبه فرغم أنه شيخ مسجد وحافظ لكتاب الله إلا أنه لا يتأثر عند قراءته للقرآن.

وفي موقف آخر نجده يتعب ويندهش العتوم على لسان حماره من تصرفات الشيخ الصبيانية، وذلك عندما اشتد جوعه في إحدى المرات، فقام بأخذ جانب من قفطانه وعضه بأسنانه فنجد يقول في ذلك « وكان الشيخ إذا اشتدت به سعرة الجوع أخذ طرف كمه أو جانبا من قفطانه فعضه بأسنانه وهو يتأوه ! [2]».

كما تجده يتعجب ويندهش من غباء وجهل الناس الناس وإتباعهم للخزعبلات والإشاعات دون تمحيص وغربلة وذلك عندما أصبحوا يتسابقون لشراء حليب الحمير بحجة أنه يزيد الإشراق ويعطي الجسم نضارة .

فصارت كل فتاة عصرية تحلم بشراء قنينة صغيرة منه وذلك عندما انتشرت إشاعة مفادها أن جمال كليوباترة الفرعونية كان بسبب أنها كانت تتحمم في حليب الحمير فنجد يقول « وقال علماء التاريخ والآثار أن جمال كليوباترة الفرعونية الساحر، واحتفاظها بشبابها وبنضارة وجهها، وإشراقة جسدها، سببه أنها كانت تتحمم في حليب الحمير، فتمنت كل فتاة عصرية أن لو استطاعت أن تفعل ما فعلت كليوباترة!! »،[3] فهو هنا يسخر من سذاجة وغباء الناس وغياب الوعي لديهم فهم يتبعون الإشاعات والتراهات من دون إعمال عقولهم وكأن الله لم يكرمهم بالعقل.

---

[1]– المصدر نفسه، .ص 46.

[2]– أيمن العتوم، المصدر نفسه، ص 58.

[3] – المصدر نفسه، ص 179.

كما نجده يقول أيضا « إن بعض لتجار فكر بعد أن وجد التجارة مريحة أن يصدر لحومنا إلى دول الجوار المحرومة من اللحم، أو إلى دول آسيا، أو إلى دول أوروبا، وكان يعطي المستوردين الخيار في أن يستلموا لحم الحمير مذبوحا أو حيا بأسعار تفضيلية !!! »[1]. فمن خلال قوله هذا هو يستغرب ويتعجب ويندهش من تصرفات البشر، ومن بطشهم واستباحتهم للمحرمات بذبحهم لحوم الحمير وتصديرها للدول مقابل أسعار رمزية، فهو يتعجب من غياب الضمير الإنساني لدى هؤلاء التجار الذين أصبح همهم الوحيد المال ! .

2/ أسلوب الاستفهام :

يمثل الاستفهام أحد أهم الأساليب اللغوية وأكثرها استخداما في اللغة العربية « وهو طلب العلم بشيء، لم يكن معلوما من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته [2]» أي هو سؤال يستوجب الإجابة لإزالة اللبس والإبهام . وهو نوع من الطلب الإنشائي.

وقد زخرت الرواية بأسلوب الاستفهام، وورد في عدة مواضع منها قوله: « لم يكن يصلي في المسجد أكثر من عشرة مصلين أكثرهم كانوا من الذين تجاوزوا الخمسين أو الستين من أعمارهم، وتساءلت :أين شباب القرية ؟[3]»، فهو هنا يتساءل عن سبب تغيب شباب القرية عن أداء الصلاة، فقد لاحظ وجود عدد قليل من المصلين وأغلبهم تجاوزوا الستين من عمرهم، وقد أثار ذلك استغرابه حينما رأى شيوخ وكهولا لا يتغيبون عن لقاء الله. وقد ورد الاستفهام في موضع آخر فنجد قوله: « ما فائدة أن أؤمكم في الصلاة وأنتم كفرة ... ألا ترون ما أنا فيه؟».[4]

فبسؤاله هذا ، هو يسخر منهم، ومن عتابهم له بسبب تغيبه عنهم مدة شهرين كاملين فرغم أنه يعرف الإجابة إلا أنه بادر بطرح السؤال.

كما نجد العتوم يسخر أيضا من الناس على لسان الحمار فيقول « وإنني أعظكم أن يحيي يعضكم بعضا في الصباح، ثم يضرب بعضكم رقاب بعض في المساء الدم حرام فلما يقتل الإنسان أخاه باسم الحرية؟ ولماذا يبيد شعبه باسم الحفاظ على الأمن ؟ [5]»

---

[1] – أيمن العتوم ، المصدر نفسه، ص 208.

[2] – أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت، ص 78.

[3] – أيمن العتوم، صوت الحمير، ص 79.

[4] –أيمن العتوم ، المصدر نفسه، ص 79.

[5] – المصدر نفسه ، ص 184.

فهو هنا يشير إلى ثقافة الإجرام والتربص التي يسلكها بعض المسلمين في حياتهم متخلين عن ثقافة العفة والتسامح ورعاية حرمة دماء المسلمين. وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة ((أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه))[1]. كما يتساءل عن سبب قتل الإنسان لأخيه الإنسان، رغم أن الله عز وجل قد حرم القتل العمدي، وبقوله هذا هو يسخر من الدول الأجنبية ومن قتلها لبعض الشعوب العربية المستضعفة فرغم أنها تدني السلام والحرية إلا أنها تبيدهما.

وفي موقف آخر، وبينما هو يسخر من مدير الإذاعة قائلاً: « إن إذاعتكم فقيرة ، فرد، من دون شتائم . فقلت : أنا لا أشتم، أنا أقول الحقيقة، هل من المعقول أن تكون ثلاثة أرباع برامجها للزقزقة والفرفشة، والنطنطة وملأ عقول الناس بالكلام الفارغ، ولا يكون فيها برنامج واحد يعطي لحياتهم معنى وللإذاعة قيمة ؟ في أي عصر نعيش ؟ ».[2]

فهو هنا يسخر من الإذاعة ومن محتوى البرامج التي تقدمها، فجل برامجها برامج ترفيهية ولا تعود بفائدة على مستمعيها، ولا يوجد برنامج واحد مفيد يساهم في إنعاش الحياة العامة. فرغم التطور الذي نعيشه اليوم، ورغم التكنولوجيات المتعددة إلا أننا كثيرا ما ندعم التفاهات. ونطرب ونفرح لسماعنا لأغنية صاخبة ونغير القناة بمجرد مصادفتنا برنامج ديني أو ثقافي أو حتى علمي.

3/ السخرية بأسلوب التشبيه:

يعد التشبيه أحد أهم الأساليب البيانية، وقد تعددت تعريفاته منها أنه ((إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التشبيه ملفوظة أو ملحوظة))[3]،وفي موضع آخر، يعرف بأنه:((فن واسع النطاق، فسيح الخطوة ممتد الحواشي، متشعب الأطراف ، متوعّر المسلك، دقيق المجرى، غزير الجدوى))[4]، وقد ذكر التشبيه في الرواية في العديد من المواضع، نذكر منها قوله: ((كان يوم جمعة، بعض الأولاد كانوا يقفزون كالقرود في ملعب القرية والطين يغطي ملابسهم))[5] فهو هنا شبه الأولاد بالقرود فهم يقفزون في ملعب القرية غير مبالين بأحد لا يهمهم ألا اللعب والمرح وتضييع الوقت ونجد أيضا التشبيه في موضع آخر إذ نجده يشبه الشيخ علي ببعرة الشاة عندما سقط من الجبل وظل متمسكا بجذع شجرة والرياح تأخذه يمينا وشمالا فشبه الشيخ بالبعرة التي

---

[1]– سورة الحجرات، الآية 12

[2] – أيمن العتوم ، صوت الحمير ، ص 167.

[3]– عبدة عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط 3. 1992. ص 38.

[4]– أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة ، ص 219

[5]– أيمن العتوم، المصدر نفسه، ص 18.

تتأرجح في قفا الشاة فنجده يقول:((فقال وهو يتأرجح مثل بعرة في قفا الشاة...))[1] وفي موضع آخر نجده يشبه الشيخ علي بالطفل الصغير في النواح والبكاء وذلك من باب السخرية فنجده يقول((وكان الشيخ في الليالي يتذكر عهد ابنته فيبكي وينوح كأنه طفل صغير !!))[2].

فهو هنا، يشبه الشيخ بالطفل الصغير الدائم البكاء والنواح وذلك عندما تذكر الوعد الذي قطعه لابنته مريم عندما كانت صغيرة بأنه لن يتخلى عنها مهما حصل، لكنه تخلى عنها بعد قتله لزوجته، فقد ضاعت منه ابنته مريم فهو يبكي كالطفل الصغير حسرة وندما على فعلته.

كما سخر الكاتب أيضا من الشيخ علي حينما شبهه بالحمار في قوله: ((وبدا عنقه مثل عنقي والتفت نحوه فندت مني ضحكة مرحة))[3] فالكاتب هنا يسخر من الشيخ على لسان الحمار أبو صابر فقد شبه عنق الشيخ بعنق حماره (أبو صابر) وهذه سخرية واضحة كما نجد الكاتب أيضا يوظف التشبيه للسخرية من خيانات البشر وتحديدا خيانة الرجال لزوجاتهم وغياب ضمير المسؤولية لديهم ففي هذا القول تظهر المفارقة واضحة فالحمار هنا يسخر من الذكور البشر فقد سخر الكاتب من خيانة الرجال على لسان الحمار فنجد الحمار يقول:((ولكن الذكور من الحمير مثل الذكور من البشر مستعدون لأتفه الأسباب أن يقامروا بمشاعر زوجاتهم دون أي شعور بالمسؤولية وأنا أخشى عندما أكبر أن أصبح مثلهم !!))[4] ونجده أيضا يشبه الحياة بالشهاب فهي تمر سريعا دون أن يشعر الإنسان بها ولذلك سميت بالفانية فنجده يقول:((والحياة تمضي، مثل شهاب في السماء ،ربما لا أحد يعرف من أين جاء، وكيف لمع، ولا كيف انطفا في رحلته))[5] فقد شبه الكاتب هنا الحياة بالشهاب وذلك في سرعة انقضائها فالإنسان أصبح لا يشعر بتقدم عمره فحياته تمر بسرعة وأصبحت الأيام تمردون أن نشعر بها.

4/ المناداة بالألقاب والصفات القبيحة :

[1]– المصدر نفسه، ص 65.

[2]–المصدر نفسه ، ص 101.

[3]– أيمن العتوم، صوت الحمير، ص 47.

[4]– أيمن العتوم، المصدر نفسه. ص 7.

[5]– المصدر نفسه، ص 238.

وهي من أذم صور السخرية وأكثرها وقعا على النفس و « هي من أقدم الصور السهلة الساذجة في السخرية وتستعمل فيها أسماء الحيوانات كألقاب[1] » فتصير هذه الألقاب ملتصقة بالشخصية المسخور منها ويراد منها السخرية والتقليل من الشأن وتقزيم الذات وقد نهانا الله عز وجل عن ذلك في قوله: ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ))[2].

ومن خلال هذه الآية، يظهر تحريم التنابز بالألقاب وإطلاق الصفات القبيحة وقد لجأ الكاتب أيمن العتوم إلى توظيف هذا الأسلوب في الرواية بغرض السخرية فنجده يطلق لقي " السوكرجي "على الشيخ علي في شبابه وذلك للدلالة على طيشه ومجونه في مرحلة شبابه.

فقد كان يشرب الخمر ويلعب القمار وكثير السهرات، كما أنه قد قام يقتل بقتل زوجته وتقطيعها إلى أشلاء ودفنها في التراب .وذلك بسبب خيانتها له وقد كان معروفا في القرية بهذا اللقب وكان جميع سكان القرية ينادونه بـ " علي السوكرجي " وحتى بعد توبته وهجرانه من قريته كانوا لا يزالون ينادونه بهذا اللقب فنجده يقول « فقهقه أبو عقيل وهو يرجع ظهره إلى الوراء: ((السوكرجي))، فانزعج الشيخ : إن الله يقبل التوبة ونحن البشر لا نقبلها يا أبا عقيل ». [3]

وفي موقف آخر حدث معه أثناء بحثه عن ابنته مريم، وكان قد مر زمن طويل على غيابه عن القرية ولكن لحظة ما رآه الدكنجي ناداه بهذا اللقب (السوكرجي) حيث يقول « فلما قال له :وأمي صبحا بنت سالم عرفه حينئذ وصاح: علي السوكرجي !! فانخرع الشيخ وأخفض رأسه، وهتف بصوت مبخوخ، نعم هو، ولكننا تبنا [4]».

كما نجد العتوم قد أطلق أيضا لقب " أبو صابر " على الحمار وهو الشخصية الرئيسية البطلة في هاته الرواية. وذلك للإشارة على قوة صبره وتحمله وقد كان مالكه الشيخ علي يناديه دائما بهذا اللقب فنجده يقول «وقلت : لقد فعلوا ما تفعل الحمير، لأنهم يشبهوننا على الأقل من خمسة أوجه وتساءل الشيخ علي متفكها: : وما هي يا أيا صابر؟ .[5]

---

[1] – نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، ص27.

[2] – سورة الحجرات، الآية 11.

[3] – أيمن العتوم، صوت الحمير، ص 118.

[4]– المصدر نفسه، ، ص 92

[5] – المصدر نفسه، ، ص 92.

خاتمة

خاتمــة:

من خلال قراءتنا النقدية لرواية (صوت الحمير) فإننا توصلنا إلى جملة من النتائج، أهمها:

1. غلب مجال السخرية السياسية والدينية والاجتماعية على باقي المجالات الأخرى عنده.
2. جاءت هذه الرواية بمثابة تأريخ لكل قرى الأردن من شمالها إلى جنوبها وصولاً إلى قرية "سوف" القرية البطل في هاته الرواية.
3. زخرت هذه الرواية بالاقتباسات والتضمينات والتناصات من القرآن الكريم، وهو ما يشير إلى ثقافة الكاتب الواسعة إسلامية وغير إسلامية(التوراة والإنجيل).
4. تعددت أسباب السخرية، وتعددت دوافعها النفسية والاجتماعية.
5. فمن خلال هاته الدراسة يتضح لنا بان السخرية اتخذها أيمن العتوم وسيلة لإصلاح المجتمع.
6. من الناحية الأسلوبية نلاحظ أن لغة أيمن العتوم لغة عالية مليئة بالرموز والكنايات والاستعارات والتناصات.
7. السخرية في رواية "صوت الحمير" رمزية اعتمد فيها أيمن العتوم على الرمزية بالدرجة الأولى.
8. تقوم سخرية أيمن العتوم في هذه الرواية على الرمز البعيد والشيفرات العميقة التي تتطلب قارئا نوعيا وذكيا مسلحا بثقافة واسعة.

أخيرًا، آمل أن أكون قد أجبت عن بعض التساؤلات التي طرحت في بداية البحث. كما أرجو أن أكون قد أزلت بعض الغموض الدائر حول هاته الرواية.

الملاحق

الملحق الأول: السيرة الذاتية للكاتب .

أيمن العتوم .

« أيمن علي حسين العتوم، أديب وروائي أردني الجنسية، ولد في جرش في الأردن يوم 2 آذار (مارس)، عام1972 م، نشأ في الأردن ثم انتقل مع عائلته إلى الإمارات العربية المتحدة.

ودرس هناك، ثم عاد إلى الأردن واستقر فيها، وأكمل مسيرته العلمية وحصل على عدة شهادات جامعية ظهر في تقديراتها مدى نبوغه الأكاديمي وحبه للعلم .

درس الثانوية في مدارس دولة الإمارات العربية المتحدة في إمارة عجمان، ثم عاد إلى الأردن، والتحقق بجامعة العلوم والتكنولوجيا في شمال الأردن، فحصل فيها على درجة البكالوريوس في الهندسة المدنية عام 1997، ثم ذهب إلى جامعة اليرموك في مدينة اربد شمال الأردن، ليدرس اللغة العربية كتخصص ثان.

وتخرج أيمن العتوم عام 1999 وحصل فيها على شهادة بكالوريوس في اللغة العربية من كلية الآداب ثم التحق بالجامعة الأردنية ليكمل مرحلة الدراسات العليا في اللغة العربية، فحصل على شهادتي الماجستير ثم الدكتوراه في النحو واللغة وذلك في العامين 2004 و 2007 .

عمل في مجال الهندسة المدنية كمهندس تنفيذي في مواقع إنشائية في عامي 1997 م و 1998م، ثم اتجه إلى مهنة التعليم فأصبح معلما لمادة اللغة العربية في عدة مدارس ريادية في الأردن، وما زال على راس عمله.

تحدث أيمن العتوم في رواياته عن أدب السجون وصرح بأن السجن هو ما جعل شاعريته تتدفق، وكلما ازداد حرمان الجسد زاد فيضان الروح، فبرز في كتابة الروايات السياسية بأسلوبه المتميز.

فرواياته تصف وقائع حالات من الرعب والجنون والموت والعذاب الجحيمي التي تصيب المساجين في السجون العربية، فاستقطب ذلك الكثير من القراء، لاسيما وأن رواياته تتناول المواضيع الأشد حساسية، التي يتحاشى الكثير من الروائيين الكتابة فيها.

وبدأت إنجازات أيمن العتوم منذ أن كان طالبا في الجامعة، حيث قام بتأسيس عدة نواد أدبية في الجامعات الثلاث التي التحق بها وكانت منبثقة عن اتحادات الطلبة، وذلك لتشجيع أعمال الكتابة الأدبية، وأنجز العديد من الأعمال الأدبية الناجحة التي لقيت رواجا واسعا، وكان لأعماله دور هام في الأدب العربي وإثرائه بأسلوب مشوق، فلديه مجموعة من الروايات الأدبية، ودواوين

الشعر، وبعض المقالات، كما أنه بدأ الالتفات إلى أدب الناشئين، فألف رواية مصورة اسمها أرض الله.

وإن روايات أيمن العتوم في معظمها، مستقاة من أحداث سياسية حصلت في الواقع في الدول العربية، وفيها الكثير من التفاصيل التي لا يمكن إلا لشخص عاش تلك الظروف، أن يصفها هذا الوصف الدقيق، كما أن أسلوبه في وصف الأماكن والشخصيات والروائح والأصوات، تشد القارئ وتجعله ينسجم انسجاما تاما مع أحداث رواياته.

أثار أيمن العتوم:

<u>أولا: الروايات:</u>

وفيما يأتي وصف مختصر لرواياته المنشورة:

1. **يا صاحبي السجن** :هي أول رواياته المنشورة، يصف فيما تجربته القاسية في السجن عامي1996 و 1997 بأسلوب مؤثر.

وقد صدرت عام 2012 عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت.

2. **يسمعون حسيسها** : هي التجربة الروائية الثانية له عن أدب السجون، لكن هذه المرة في السجون السورية، فتكشف الرواية مدى تشبث بطلها بالحياة بالرغم من معاناته الكبيرة، وقد صدرت كذلك عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام 2012.
3. **ذائقة الموت** : تناقش ثلاثة أمور هي : الحب والموت والحرية، في قصة شاب أحب فتاة تكبره في السن فصار الحب سجنا، وتشير الرواية إلى أبعاد سياسية أخرى، صدرت عام 2013.
4. **نفر من الجن** : هي رواية خيالية، تحكي قصة الصراع بين الحق والباطل، وعن المفاضلة بين الإنس والجن والشياطين، وعن الظروف التي تصنع الطاغية، وقد صدرت عام 2014.

كلمة الله : ويناقش فيها التعصب الديني المسيحي والإسلام ويحاول أن يظهر النتيجة الحتمية لعدم احتمال المرء شريكا في الوطن وصدرت عام 2015.

5. **حديث الجنود** : تتحدث عن أحداث جامعة اليرموك عام1986، والاحتجاجات الطلابية على القرارات الجامعية حينها، صدرت عام2014، ثم منعت السلطات الأردنية تناولها لحين صدور حكم قضائي بشأنها.
6. **خاوية:** يناقش الكاتب فيها التوحد عند الأطفال، ثم حياة السوريين منذ بدء الحرب، فجمع بين شخصيات هذين القسمين في في القسم الثالث والأخير من الرواية التي صدرت عام 2016.

7. **اسمه أحمد:** يتناول فيها سيرة الجندي الأردني " **أحمد الدقامسة** " الذي أطلق النار على سبع فتيات إسرائيليات، وحكم بالمؤبد ثم خرج بعد عشرين عاما، وقد كتبها بأسلوب المذكرات وأصدرت عام 2017.
8. **طريق جهنم:** وفيها يتناول الكاتب قصة الطاغية الذي يروي بلسانه وما أصابه من تعذيب ومعاناة وظلم على مدى ثلاثين سنة، وصدرت الرواية عام 2018.
9. **تسعة عشر** : يصف فيها الكاتب رحلة شخص استيقظ بعد وضعه في القبر، فينتقل بين عوالم مختلفة في البرزخ، وهي شبيهة برحلة دانتي في الجحيم في رواية الكوميديا الإلهية، وصدرت عام 2018.
10. **أنا يوسف** : تتناول قصة نبي الله سيدنا يوسف بصورة فنية وأدبية تحاول الغوص في نفسيات أبطالها، بطريقة مشوقة تشد القارئ، دون الخروج عن نص القرآن الأصلي للقصة، وصدرت عام 2019.
11. **يوم مشهود** : تحكي تفاصيل تاريخية دقيقة لم تذكرها كتب التاريخ عن القدس، وتوثق أحداثا منسية، إلا أن دائرة المطبوعات في الأردن منعت نشرها عام 2019 بسبب بعض العبارات فيها .
12. **رؤوس الشياطين** : خاض الكاتب فيها الأدب النفسي، فبطل الرواية يمر به الكثير من الأمراض، يعيش المتضادات وصراع الشخصيات مثل الحياة والموت والنجاح، والإخفاق، صدرت الرواية عام 202.
13. **أرض الله** : تتحدث عن العبودية التي واجهها رجل إفريقي في الولايات المتحدة الأمريكية، وتركز على حب الوطن والصبر، صدرت عام 2020.
14. **مسغبة** : رواية أدبية تاريخية كتبت بلغة سلسة، تتحدث عن قصة طبيب يحاول أن يجلب الحياة لمرضاه بعد انتشار الطاعون والأمراض الفتاكة الأخرى والجوع وآثار ذلك على الإنسانية، وقد صدرت عام 2021.
15. **هذه سبيلي:** ويحكي فيها الكاتب أيمن العتوم عن تجربته الخاصة في الكتابة وفي الحياة والأمور التي كان يحدث بها نفسه، وصدرت عام2021.

ملاحظة: لقد أهملت غيداء التميمي في مقالها المنشور بموقع "موضوع" في 2023/08/15. (على الساعة 6 و 34 د) في رصدها لروايات أيمن العتوم رواية (صوت الحمير المنشورة في دارد يوان. بالكويت عام 2022). وكان لزاما علينا بالتذكير بها وإلحاقها ضمن قائمة رواياته، خاصة وأنها موضوع بحثنا هذا.

ثانيا: المسرح

للكاتب أيمن العتوم مسرحيتان، إلا أن أيا منهما لم تنشر بعد وهما:

1. مسرحية المشردون عام 1989.
2. مسرحية مملكة الشعر 2002 .

ثالثا: المقالات:

قد كتب أيمن العتوم مجموعة من المقالات، تحدث فيها عن قضايا إنسانية متنوعة:

1. لماذا نقرأ الروايات 2017.
2. المنصف المرزوقي ذلك المسكين 2017.

اقرأ 2018.

3. هرطقات جورج طرابيشي 2018.
4. رجال في الشمس ..غسان كنافي 2018.
5. الموت وطقوسه 2018 .
6. العروش تربعت فيها حتى القردة 2018

رابعا: الدواوين الشعرية:

له عدة دواوين شعرية، بعضها كتبها في السجن وبعضها ينشر :

1. بوراق الفجر 1989م.
2. البيارق 1995م
3. ديوان الزنابق 1996م.
4. المشارق 1997م.
5. القمر المسافر 1998م
6. ديوان نبوءات الجائعين وهي مجموعة قصائد شعرية كتبها، أيمن العتوم في السجن، وصدرت عام 2012.

7. ديوان خذني إلى المسجد الأقصى 2009.
8. ديوان الزنابق 2015.
9. ديوان طيور القدس 2015.

خامسا: سمات أسلوبه:

وفي ظل رحم الإنتاج الأدبي للكاتب أيمن العتوم، فإنه يصعب تحديد السمات الأسلوبية لأعماله، ولكن هناك سمات مشتركة يلحظها القارئ المتمعن :

1. الأخذ بنهج الأسلوب السهل المتمعن الشائق واللغة العربية الفصيحة البليغة المعززة باللفتات الفنية
2. براعة الكاتب في وصف المشاعر والأماكن بتفاصيلها وكأن ميل الكاتب كذلك للغة الإسلامية القرآنية فنجد أسماء رواياته، وأسماء الفصول فيها وأسماء دواوينه مقتبسة من آيات القرآن الكريم أو على نهجها .

سادسا: الجوائز التي تحصل عليها:

1. ومن أشهر الجوائز التي حصل عليها أيمن العتوم الترشح للجائزة العالمية للرواية العربية عام2013، ليكون أحد المشتركين في المسابقة التي تهدف إلى مكافأة التميز في الأدب العربي المعاصر.
2. الترشح لجائزة كتارا للرواية العربية والفن التشكيلي، والتي تهدف إلى ترسيخ حضور الروايات العربية المتميزة عربيا وعالميا.

عن غيداء التميمي/موقع "موضوع" بتصرف

الملحق 02 : ملخص الرواية.

رواية "**صوت الحمير** "هي رواية فلسفية فكاهية ساخرة، للدكتور الأردني" **أيمن العتوم** " الصادرة عام 2021 عن دار ديوان للنش بالكويت.

وهي الرواية رقم 15 من بين رواياته، والوحيدة التي خرجت عن المألوف، وأحدثت ضجة كبيرة في الوطن العربي عامة والأردن ووزارة الأوقاف الأردنية خاصة.

وذلك بسبب ما تحمله في طياتها، من نقد لاذع للواقع المعيش والسخرية من بعض الشخصيات الدينية، والسياسية وتسليطها الضوء على بعض القضايا المهمة والمسكوت عنها.

وهذا ما جعل أصابع الاتهام توجه نحو " أيمن العتوم " حيث اتهموه بالإساءة إلى الأئمة والمشايخ وعلماء الدين مما جعل وزارة الأوقاف الأردنية تمنع صدور ونشر هذه الرواية في الأردن.

فبكتابة العتوم لهذه الرواية جعل القراء في دهشة وحيرة من أمرهم، " فأيمن العتوم" الذي لطالما عود قراءه بكتاباته الدينية وباقتباسه من القرآن الكريم، واحترامه لدينه وتنشئته الدينية التي يعرفها الجميع، خرج عن المألوف في كتابة هذه الرواية .

وأساء إلى بعض الشخصيات الدينية ولكن بعد إقامة حوار معه أجاب بأنه لم يسيء إلى الأئمة أبدا وأنه يحترمهم جدا.

والدليل بأن معظم كتاباته السابقة ذات طابع ديني، وأن السر وراء كتابة هذه الرواية هو أنه أراد أن يجسد العلاقة بين الإنسان والحيوان.

كما صرح بأن فكرة " **أن تكون مكان الآخر** " هي السر وراء كتابة رواية " **صوت الحمير**" وأنه استلهم هذه الفكرة بعد قراءاته لرواية "**ميخائيل بولفاكوف** "(قلب –كلب)

وقد جسدت هذه الرواية العلاقة بين الإنسان والحيوان، وطرحت العديد من التساؤلات : لماذا يرى الإنسان نفسه أحسن من البشر؟ ولماذا يسيء الإنسان التعامل مع المخلوقات الأخرى ؟ ... الخ.

كما أَرَّخَتْ الرواية لكل قرى الأردن شمالها وجنوبها وصولا إلى قرية " سوف". القرية البطل في هذه الرواية، وتتكون الرواية من 24 فصلا كل فصل، يتصدره عنوان رئيسي فأول فصولها كان بعنوان" **أنت حمار مختلف** "، أما آخر فصولها فكان بعنوان " **الشهب تتساقط** ".

وتقدم الرواية على لسان الحمار " **أبو صابر** " الذي يسخر بدوره من تصرفات وطبائع الإنسان تارة، ومن المجتمع تارة، ومن الدين والسلطة والصحافة والإعلام تارة أخرى.

وذلك في قالب فلسفي فكاهي ساخر، ممزوج بالحكمة والمعرفة. كما تحمل الرواية في طياتها الكثير من العجائبة والمفارقات الساخرة، كيف لا وبطل هذه الرواية هو حمار، يدعى " **أبو صابر** " يتكلم اللغة العربية بفصاحة وطلاقة ويملك من الفلسفة والمعرفة، ما لا يملكه شيخ الأزهر ولا شيخ الزيتونة على حد تعبيره.

فشعره يثلج الصدر ويدمي القلب ويواسي المهموم وهو خطيب وإعلامي ناجح ومحرر في إحدى القنوات التلفزيونية أيضا، ويقدم برنامجا إذاعيا له صدى كبير في العالم باسم (صوت الحمير) الذي ذاع صيته في مختلف بلدان عالم الحيوانات، فاستقطب مستمعين من الأحمرة بصفة رمزية تحيل على الواقع الإنساني المعيش وتشارك في التعريف بثقافة بلدانها عامة، وعالم الأحمرة خاصة.

وكل هاته المواهب تلقاها من شيخه ومعلمه ومالكه، " الشيخ علي" إمام مسجد سوف " بالأردن وهذا من خلال رحلاته وتنقلاته بين قرى الأردن، فتلك المسافة الطويلة كان يقطعها الشيخ في القراءة والمذاكرة ويقطعها الحمار في تلقي وحفظ ما يتلوه شيخه.

وتبدأ أحداث هذه الرواية عندما اشترى له سكان قرية " سوف " " للشيخ علي " حمارا يدعى" أبو صابر " وذلك بعد ما فر حماره السابق.

وأصبح "الشيخ علي " يتقاعس عن أداء الصلاة، وذلك بحجة أن منزله بعيد عن المسجد ويقع بين منعرجات وجبال شامخة، يصعب عبورها بالأقدام وخاصة في الليل.

وقد فرح " الشيخ علي " بحماره الجديد، فهو مؤنسه في وحدته ووحشته، وأصبح الشيخ رفيقا للحمار، يعامله معاملة حسنة. يكرمه بالشعير الطازج، ويتبادل معه أطراف الحديث وكأنه آدمي ليفاجأ الشيخ في إحدى المرات بأن هذا الحمار يحس ويفهم ويتكلم، ويسلك سلوك الإنسان.

فضلا عن عواطفه الرقيقة تجاه نفسه وصاحبه والناس.

فلقنه وعلمه الشيخ دروسا في الفقه والتفسير والفلسفة، فحفظ ما يعجز عن حفظه البشر، كما علمه الحكمة والشعر .

و من خلال تجوالهما بين القرى الأردنية، لإلقاء الخطب الدينية في المساجد المجاورة، تفقه الحمار في الدين، وحصل على قدر عال من المعرفة، فسخر من طبائع البشر وقصورهم، وشرورهم، وتصرفاتهم وتناقضاتهم ونفاقهم الاجتماعي.

ويبين العتوم على لسان حماره أبو صابر بأن المظاهر ليست دائما حقيقة، فهي في أغلب الأحيان زائفة. كما كشف لنا أن " **الشيخ علي** "كان طائشا في شبابه. وصوره على أنه مجرم،

قام بقتل زوجته وعشيقها الفلاح في الماضي، بسبب خيانتها له وذلك جراء إهماله لها ولابنته "**مريم**".

وعدم إنفاقه عليهما. ومن خلال رحلتهما في البحث عن" **مريم** "**علّم الحمار شيخه، وجمهور القراء** دروسا في الوفاء والصداقة. حيث أنعش الحمار عاطفة الأبوة والبنوة الشيخ علي بعد عشرين سنة من الغياب والحرمان.

وبعد وفاة " **الشيخ علي** " قرر " أبو صابر " أن يسلك طريقا خاصا به. فخاض تجربة سياسية، أسس خلالها حزبا خاصا بالحمير، أدلى فيه بآرائه وقناعاته في الحياة . كما أسس فرقة مسرحية خاصة بالحمير أيضا، عرّف فيها بآرائه، وقناعاته في الحياة. وارتاد الإعلام والصحافة، وأشرف على تقديم برنامج إذاعي يتكون من 100 حلقة كللت كلها بالنجاح وذاع صيتها في كل أصقاع الأردن والعالم.

شعر أبو صابر بعد وفاة زوجته ورفيقة دربه الحمارة " **صعدة** " بالوحدة والحزن، فقرر العزلة والتواري عن أعين معارفه وراح يتأمل في قدرة الله تعإلى في الكون، فاختار إحدى الجبال النائية بجانب قبر شيخه. ملاذا له. وخلا بنفسه، بحيث صام لسانه وبطنه بحثا عن معرفة الله. وفي هذه الأثناء تعرف على تلميذ آخر للشيخ علي، هو(**أيمن العتوم**) الذي كان هو الآخر يختلي بنفسه ويطلق من آلة الناي معزوفات صوفية استهوت الحمار مما جعله يفكر في التقرب من هذا العازف. حيث أدرك الحمار انهما يلتقيان في التأمل ومحاورة الكون على طريقة الصوفيين. وأثناء هذا اللقاء يقص الحمار أبو صابر على التلميذ أيمن العتوم حكايته، ويطلب منه أن يضعها على شكل كتاب يسميه " **مذكرات حمار**". **غير أن** التلميذ (أيمن العتوم) كان أكثر عنادا من الحمار وأصر أن يسمي هذا الكتاب " **صوت الحمير**". مدعيا أن أكثر ما يميز الحمير هو الصوت لا الذكريات.

تلخيص الطالبة : " **سماش أميرة** "

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

* الحديث النبوي الشريف

المصادر:

1. أيمن العتوم: صوت الحمير، دار ديوان للنشر والتوزيع، الكويت. ط 2. 2022

المراجع العربية:

1. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط، د.ت.
2. حامد عبد الهوال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.
3. سها عبد الستار السطوحي، السخرية في الأدب العربي الحديث " عبد العزيز البشرى أنموذجا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة. 2007
4. شوقي ضيف، الفكاهة في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط، د.ت.
5. علي البوجديدي، السخرية في أدب علي الدوعابي (تجلياتها ووظائفها)، الأطلسية للنشر، تونس، د.ت، ط1، 2012.
6. عبد العزيز قليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي. ط 3. القاهرة، 1992
7. محمد الزموري، شعرية السخرية في القصة القصيرة (الوظائف التداولية للخطاب)، منشورات مجموعة من الباحثين جامعة، فاس، د. ط. د.ت.
8. محمد عبد الوهاب، الكبائر، تح باسم فيصل الجوابرة، دار الصميعي للنشر والتوزيع السعودية، ط1، 1996.
9. محمد بياه الشنقيطي، ريما خالد وهبي، لامية ابن الوردي، معهد الإمام للتأسيس اللغوي د ت.

10. محمود محمد علي، أدب السخرية السياسية بين باسم يوسف وجوشو، (د ط)، جامعة اسيوط.

11. نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار التوفيقية للطباعة، الأزهر، ط1، 1398هـ/ 1987م.

12. نبيل راغب، الأدب الساخر، (د.ط)، مكتبة الأسرة، مصر، 2000.

13. نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1433هـ/ 2012م.

المجلات:

14. إبراهيم عبد الفتاح رمضان، السخرية نمط من الحيل الأسلوبية، مجلة فصل الخطاب، كلية الآداب، جامعة المنوفية، مج 04، العدد 17، مارس 2017.

15. إبراهيم بن سالم بن محمد الجهني، أسلوب التعجب نظرة في حده وتفسيره وإعراب منصوبه، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، العدد 6، 2015.

16. بوزيرة علي، السخرية والتهكم الفلسفي في شعر المعري، جامعة ابن خلدون، تيارت.

17. خليفة مامور، علي كرباع، السخرية من جدل المعنى إلى تعدد الأشكال– المصطلح، التطور، الحضور والفعالية. جامعة الوادي، مج 7. ع 2، ديسمبر 2020

18. خيرة جريو، جماليات المفارقة الساخرة في النص الشعري العربي المعاصر، المركز الجامعي بلحاج بو شعيب، عين تموشنت، مج4، العدد 11، جوان 20177.

19. رحاب حسين، مظاهر السخرية وتجلياتها في الأدب العربي، مجلة القبس الثقافي، العدد 22، سبتمبر، 2022.

20. شريفة ماشطي، مكانة الإعلام في المجتمع، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسنطينة، عدد 34، 2010.

21. شمس واقف زاده، الأدب الساخر أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية ،مجلة فصلية، دراسات الأدب المعاصر، العدد 12، السنة 03.

22. مشاري عبد العزيز موسى، أسلوب السخرية نظرياته وإشكالياته، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، مج 13، العدد 02، جوان 2020.

المعاجم:

23. ابن منظور ، لسان العرب ، مج7، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ، 1863، ط4، 2005.

24. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة بيروت، ، ط8، 2005.

25. عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مكتبة ناشرون لبنان، ط1، 2004.

26. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، بالقاهرة، مكتبة الشروق ، ط1، 2005م.

27. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1419هـ/ 1999م.

28. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط 2. 1984.

الأطروحات والمذكرات:

29. خضرة ناصف، السخرية في النثر الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ، 2017- 2018.

30. فتيحة بلمبروك، خطاب السخرية ودلالته في الشعر العربي المعاصر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، ، 2014، 2015.

31. مليكة صياد، المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة، أمين الزاوي وآسيا جبار أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة زيان عاشور، الجلفة، 2019/2018.

32. نيفين محمد شاكر عمرو، السخرية في الشعر في العصر المملوكي الأول (648هـ- 784م)، مذكرة لماجستير في اللغة، جامعة الخليل، فلسطين. 2008-2009.

33. بسمة هادف، جماليات السخرية في المجموعة القصصية الموت وسك الجمهور "لعبد القادر صيد"، مذكرة ماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2019.

المراجع الإلكترونية:

34. غالب المسعودي، السخرية الفلسفية في الثقافة، 15 ديسمبر 2024، https ://kitabat.com، بتاريخ 20/ 02/ 2025.

35. غيداء التميمي، أيمن العتوم(روائي أردني)، 2023/8/15، https ://mawdoow.com بتاريخ 2025/02/25

الفهرس

الفهرس

شكر وعرفان	2
إهداء	3
مقدمة	4
مدخل: تعريف السخرية، لغة واصطلاحا	6
الفصل الأول: إرهاصات ودواعي السخرية وتداخلها مع الفنون	11
المبحث الأول: البدايات	12
المبحث الثاني: دواعي السخرية	16
المبحث الثالث: تداخل السخرية مع الفنون الأخرى	17
الفصل الثاني: أشكال وأساليب السخرية	21
المبحث الأول: أشكال السخرية	22
المبحث الثاني: أساليب السخرية	26
الفصل الثالث: تيمات وآليات السخرية في الرواية	29
المبحث الأول: تيمات السخرية في الرواية	30
المبحث الثاني: آليات السخرية في الرواية	47
خاتمة	53
الملاحق:	55
الملحق الأول: السيرة الذاتية للكاتب	56
الملحق الثاني: ملخص الرواية	61
قائمة المصادر والمراجع	64
الفهرس	69

ملخص المذكرة

يتناول هذا البحث موضوع السخرية في رواية "صوت الحمير"، وهي رواية فلسفية فكاهية ساخرة للدكتور الأردني أيمن العتوم، وقد صاغ روايته بطريقة رمزية عجائبية ساخرة ليتجاوز بنقده السياسي والديني والاجتماعي سلطة الرقابة، حيث جعل من الحمار شخصية محورية ساخرة في روايته أعطاها دورا كبيرا في مراقبة الأوضاع وتحليلها إلى درجة أنه أصبح الشخصية الأكثر وعيا بما منحه الكاتب من عمق إنساني وأخلاقي، مكنه من تسجيل ملاحظات ومعاينه الاختلالات، وهو يتحدث مع صاحبه (الشيخ علي) بكثير من الوعي وكثير من الحرية والنقد، وهو ما جعل هذه الشخصية الأعجمية، تنال مكانة في الرواية ومرجعية سياسية وثقافية من خلال ما اكتسبه في سفره الرمزي مع الشيخ علي بين البيت ومسجد القرية (سوف) والقرى المجاورة. ومن ثم نقول بان رواية صوت الحمير رواية سياسية بامتياز لما تضمنته من حمولات نقدية.

وقد قسمت بحثي إلى مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، وقد وزعت مباحث الدراسة على الفصول، لأتمكن من التحليل والتوصيف العميقين، متخذة من منهج التحليل الوصفي طريقا لتجسيد مقتضيات البحث والإجابة على الإشكاليات المطروحة.

Abstract

This research addresses the theme of irony in the novel "The Voice of Donkeys," a humorous, satirical philosophical novel by Jordanian author Ayman Al-Atoum. He crafted his novel in a symbolic, sarcastic, and fantastical way, transcending censorship with his political, religious, and social criticism. He made the donkey a central, satirical character in his novel, giving it a significant role in monitoring and analyzing situations, to the point that it became the most aware character, thanks to the human and moral depth the author bestowed upon it. This enabled it to record observations and observe imbalances, while conversing with its companion (Sheikh Ali) with a great deal of

awareness, freedom, and critical thinking. This earned this foreign character a prominent place in the novel and a political and cultural reference point, through his symbolic journey with Sheikh Ali between his home, the village mosque (Souf), and neighboring villages.

Therefore, we can say that The Voice of Donkeys is a political novel par excellence, given its critical connotations. I divided my research into an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion. I distributed the study's topics among the chapters, to enable me to conduct in-depth analysis and description, adopting the descriptive analysis method as a way to embody the requirements of the research and answer the problems raised.